

التطويبات

تأليف

ف. ب. طائر

تعريب

العقصر مرقس داود

يناير ١٩٧٧

يطلب من

لجنة خلاص النفوس للنشر

١٢ شارع قطر بشبراخ

مقدمة

يخبرنا متى الإنجيلي أن ربنا أتى على منحدر جبل كفر
ناحوم عظمته التي جاءت في مقدمتها هذه التطويبات الرائعة الجمال.
لقد اعتدنا أن نرى من الجبال مناظر بعيدة المدى ، تمتد إلى
الأفق الذهبي ، وجداول المياه التي تتدفق بأصوات موسيقية
لتروى السهول أسفل الجبال .

وبهذه المناسبة ، كم هو جميل أن نشبه نغم هذه التطويبات
بالجبل الذي كان الرب جالساً عليه إذ كانت هذه الكلمات الجميلة
تتدفق من فمه .

إنه لأمر عسير أن نجد شبيهاً لكلماته من ناحية سموها ،
وشمولها لكل شيء في الوجود ، وإخصاب الحياة البشرية .

ومن المستحيل أن نسبر غور هذه التطويبات . فاختبارات
المؤمنين الناضجة تعجز عن أن تدرك عمق معانيها .

أما القصد من هذا الكتاب فهو إظهار بعض الطرق التي
تقودنا إلى قلب جبال الله هذه .

ف . ب ماير



باسم الآب والابن والروح القدس
الله واحد . آمين

مطبعة الخلاص

الهادئة - لما كان ينتظره في الغد .

ولما أشرق نور الفجر « دعا الذين أرادهم » (مر ٣ : ١٣) .
ومن جماعة التلاميذ اختار رسله . ومن بين الذين انجذبوا إليه
بشخصيته الجذابة ، وبإرشاد الممدان ، اختار الاثني عشر الذين
دُعوا ليكونوا أوائل من يتحملون الأخطار والتجارب ، والذين
كانوا سوف يصبحون أقرب المقربين إليه ، وأول من يعطف
عليهم .

وأخيراً نزل على سفح الجبل ، ومعه أولئك ، إلى مكان
منبسطة ، حيث كانت تنتظره الجموع الكثيرة ، الذين اجتمعوا
من كل النواحي القريبة ، والذين كانوا يطلبون معجزات الشفاء
لمرضاهم . « وجميع المرضى شفاهم » . وبعد ذلك استقر الجموع
ليسمعوا هذا الحديث الرائع ، الذي به افتتح ملكوته ، وبدأ
خدمته في الجليل .

ويالها من فرصة عظيمة . أسفلهم كانت البحيرة ، وفوقهم
جو الصباح الجميل ، وحولهم الجبال تغطيها السحب البيضاء .
وكان الهواء تعطره رائحة الزهور والحشائش . وكان المرضى الذين

(١)

الأبواب الثمانية

إلى مدينة السعادة

بعد أن قضى الرب يسوع نحو سنة في الخدمة باليهودية - ولم
يدون لنا الإنجيليون إلا القليل عن هذه الفترة - نزل ليبدأ
خدمته العامة في الجليل . وإذ نبذه السكينة والفريسيون بسبب
معجزة بيت صيدا توجه إلى جماهير الشعب . وعندما هددوه
بالموت اتخذ بعض الخطوات لاستقرار ملكوته بأن جمع حوله
بعضاً من أقرب أحبائه ، واختار منهم اثني عشر ليكونوا معه ،
وخرج ليكرز ببشارة إنجيل السلام .

وقد قضى في الصلاة الليلة كلها التي كان مزماً في صباحها
أن يقوم بعملية الاختيار . في تلك الساعات الرهيبة كان على علم
تام بمقاصد أبيه ، وتسلم من يدي الآب أولئك الذين أعطوا له ،
وطلب أن يكونوا مستعدين لدعوتهم العليا كحجارة الأساس
لأورشليم الجديدة . وهكذا استعد - تحت أنوار نجوم السماء

شفوا حديثاً ، وحاملوهم الذين سبق أن أحلوهم للمخلص ، كان
الأصدقاء والناقدون ، الرسل والتلاميذ ، يقطعون إلى ذلك الفم
الذي « كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة » .

هنا كان جبل سيناء العهد الجديد ،

لكن ما أعظم الفرق بين الجبلين !!

كان موسى خادماً ، أما هنا فيوجد الابن ..

موسى تكلم وسط قصف الرعد ، وفوق الأرض المرتجفة ،
وهنا كان صباح صحو جميل ، لا يُسمم سوى أصوات الطبيعة ،
أو جلبة المدن القائمة تحت الجبل .

موسى حمل عشر كلمات مرعبة ، منقوشة على لوحين من
الجرانيت . أما هنا فكانت كلمات رقيقة حنونة ، مكتوبة على
ألواح قلب لحمية .

موسى كان مرعباً ، يتكلم وسط قصف الزوابع والعواصف .
أما النعمة والحق فصارا يسوع المسيح ، الذي تصل كلماته إلى
أضعف إنسان ، وأكثر الناس اتضاعاً .

موسى تحدث عن اللعنة ، أما المسيح ففتح فمه وعلمهم قائلاً :

« طوبى لكم أيها المساكين بالروح ... » - أي « سعاداء هم
المساكين بالروح » . هنيئاً لهم .

كان لا ثِقاً أن يبدأ المسيح خدمته العلنية بالقطوبيات . وبهذه
الكيفية أيضاً ختمها : « وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد إلى
السماء » (لو ٢٤ : ٥١) . كانت كلماته الأخيرة مطابقة لكلماته
الأولى ، وكانت كلها تشع بنور الأبدية . وبعد أن اختفى عن
أنظارنا ، ولا زلنا نحبه وإن كنا لا نراه ، نطق بقطوبيات كثيرة
أخرى وهو جالس على العرش ، دُوِّنت لنا في سفر الرؤيا . إن
الذين يخافون من المسيح كسيد قاس عبوس إنما يجهلونه كل
الجهل . فهو كله رقة وحنان . وإذا ما استخدم السكين فذلك
لسكى يقطع منا كل ما يعطل سعادتنا ، وما نقه في أن نتحرر منه
لو عرفنا ما هو لسلامنا ، كما يعرف هو .
كل تصرفاته معنا بركة وسعادة ..

وكل طرقة معنا نور وضياء .

والنطق بالسعادة خالق باللاهوت . قبل مجيء المسيح كان
الناس راضين ، أو مستريحين ، لكنهم لم يكونوا سعاداء حقاً .

وهذه السعادة والبركة لنا هنا الآن . ليست هي بعيدة عنا
في العالم السعيد ، حيث تكمل سعادتنا ، وحيث يبطل سر الخطيئة
والموت ، بل في أى وضع نكون نحن فيه في هذه الساعة . لا
تتوقف مقاعبنا الحقيقية على ظروفنا ، بل على أنفسنا . ولقد نال
البركة الكاملة ألوف ممن يشتركون معنا في نفس ضيقاتنا التي
تسكفنا الآلام المريرة . ولو أتيج لنا أن نحيا حياة الرسول بولس ،
ونحن لا نزال في حالة قلوبنا الحالية ، لما أمكننا أن نختبر نشوة
الفرح التي تتمم بها . ولو أتيج له — هو أن يحيا حياتنا الحالية ،
بمقاعبها وضيقاتها ، لأمكنه أن يمتع بنشوة الفرح ، بحيث لا
يعرف إن كان في الجسد أم خارج الجسد (٢ كو ١٢ : ٣) .
جاء يسوع ليبين بأن السعادة لا تتوقف على ظروفنا
الخارجية . لقد صرّح بكل وضوح أننا يجب أن نتوقع مقاعب
كثيرة من أجله ومن أجل بره . لكننا وسط كل هذه أصرّ على
أن يعلمنا بأننا يمكن أن نكون سعداء حقاً إن أتمنا شروطاً
معينة . لقد أكد في تلك الكلمات الرائعة أن السعادة ممكنة في
أحلك الظروف إن احتفظنا ببساطة الحياة ، وبشجاعتنا وطهارتنا .
طوبى للمساكين بالروح ، طوبى للمطرودين من أجل البر ، لأن

كانت هذه كلمة جديدة لهم ، بل كانت كلمة قديمة في صيغة جديدة .
لم يكونوا بعد يعرفون شيئاً عن هذا السر العميق ، سر التمتع
بالصلة مع الله ونحن على هذه الأرض . لم يكن أحد قط قد صعد
إلى البحيرة السكائفة وسط الجبال التي تنعكس على سطحها الصافي
أنوار الأبدية واللاهائية . لم يكن أحد يعلم بوجودها ، أو يعرف
الطريق إليها ، سوى ذاك الذي نزل من السماء ، والذي كان في
السماء أثناء خدمته على الأرض .

قيل عن الله إنه هو « الله المبارك » (١ تي ١ : ١١) . إن
طبيعته الجيدة مباركة منذ الأزل ، كما إن قبة السماء مملوءة بالأنبياء .
وقد نزل يسوع من السماء ليعلن لنا هذه الحقيقة ، ويحملنا ندرك
امتيازنا . ونظراً لأننا خلقنا على صورة الله ومثاله في قدرة كل
واحد منا أن يتمثل ببركته . ولقد أعطى لنا هذا الامتياز أن
نشترك في بركته . عندما نلتصق بالرب ونصير روحاً واحداً
(١ كو ٦ : ١٧) فإننا نشترك في بركته . لا نفال نفس القدر
من البركة ، بل نوعها وصفتها . نقدر أن نعرف ما هي بركة الله
المبارك .

داخل الحجاب يمكن أن تسكب ضياءها ورأيتها العظمية في قلبك أنت أيضاً .

هنالك ثمانية أبواب للحياة السعيدة . إنها مفتوحة نهاراً وليلاً مثل أبواب أورشليم الجديدة ، وواحد منها ، على الأقل ، يواجه كل واحد منا . وليس علينا إلا أن ندخل ذلك الباب المفتوح ، وهكذا ندخل إلى الحياة السعيدة . من المستحيل أن نكون مسيحيين دون أن نكون على قرب من تلك الأبواب المفتوحة ، لأننا إن كنا لا نقدر أن ندعى الطهارة ، أو الوداعة ، أو الرحمة ، فإننا على الأقل نقدر أن نحسب أنفسنا ضمن الجياع والمطاش إلى السبر ، ونشهى أن نشبع ، أو ضمن من يشعرون بفقرهم الشديد ، ويحسبون أنهم ليس لهم نصيب ولا قرعة في هذا الأمر ، أو ضمن من يحزنون لكنهم لا يحزنون بالقدر الكافي ، ويقرعون صدورهم لأنهم لا يقدر أن يذرفوا الدموع الطاهرة الخالية من محبة الذات .

أنت لست نقي القلب ، إذن فذلك الباب المؤدى إلى السعادة مغلق في وجهك . لكنك حزين جداً لأنك لست نقي القلب . فادخل للمسكوت من باب الحزن والندم والتوبة .

لهم ملكوت السموات (مت ٥ : ١٠) .

وهذه السعادة هي للجميع . هذه المياه تجري في الوادي . يمكنها أن تصل إلى جذور أحقر الزهور ، كما يمكن للطفل أن يملأ كأسه منها . كنت سابقاً أعتقد بأن الله وضع أسمي هباته على رف عالٍ لكي نرفع أعناقنا إليها . أما الآن فقد اكتشفت بأن أفضل هباته موضوعة على أدنى مستوى بحيث يصل إليها أصغر الأطفال . لكل واحد أعطيت القدرة على أن يعترف من هذه السعادة ، كما أعطيت إليه القدرة على أن يعترف من الجلال والمحبة والفرح . خصصت مياه بئر بيت لحم لداود فقط ، أما مياه بئر سعادة الله العميقة ، التي شراها لنا مخلصنا القدير بثمن غال جداً ، فهي مقدمة لأفقر فقير يائس ، وجرته في يده ، ليأخذ منها مجاناً .

الله لا يجابى بالوجوه . وهو لا يُخرج أى امرئ ، بل يرحب بالجميع . أنت مدعو لهذه الولية مهما كانت حالتك وضيمية . تستطيع أن تأكل خبز الملائكة . تستطيع أن تكون سعيداً مهما كنت هزيباً . تستطيع أن تسكون معه إلى الأبد ، فيصبح كل ما لك . نور الشمس ، والزور البرية ، مقدمة لأولاد القرى كالأبناء الأمراء . والسعادة التي تبهج القديسين

وللسعادة نواحٍ كثيرة . إنها تتضمن الوعد بالنصرة
والرئاسة : « لأن لهم الملكوت » . وتهب الراحة والعزاء لمقعب
القلب المرتبك : « لأنهم يتعزون » . وتهب الأرض كيراث
بحيث تصير كل الأشياء ملكاً للنفس المتحددة بالله . إنها تُشبع
وتُغنى . إنها تجمّل طريق الحياة برحمة الإنسان ورحمة الله . وتهب
نعمة البصيرة وتدهغ من يحصل عليها بأنه ابن العلي . وتسكب
دهن البهجة على الرأس ، وتطرح رداء الرضا على الروح المثقلة
بالمهوم . هذه هي خواص السعادة .

كل هذه يمكن أن تكون ملكاً لك . وكأ أن كل شرط من
هذه الشروط يجر في أذياله كل الشروط الباقية ، هكذا تنقل كل
البركات إلى ملكية النفس التي تطيع وتؤمن . المسكنة بالروح
تؤدي إلى الحزن ، وهذا يؤدي إلى الوداعة ، وهذه تؤدي إلى
الجوع الذي لا يشبع ، والجوع يؤدي إلى الرحمة ، وهذه تؤدي
إلى نقاء القلب ، وهذا يؤدي إلى صنع السلام . وهكذا نبدأ
وننتهي بملكوت السموات . أي إن اختباراتنا تصعد على سلم
لواحي وتنهي حيث بدأت ، لكن باختبارات أكمل وأقوى .
وبين هذه الاختبارات وتلك عن الملكوت تكمن التعزية ،

أنت لست وديماً ، وروحك المتكبيرة تغلى في داخلك .
لكنك تعطش جداً إلى البر . إذن فادخل من ذلك الباب لتنعّم
بالسعادة .

العدد ٨ يتحدث عن القيامة ، والعدد ٧ يتحدث عن إتمام
العمل ، كما تمت الخلق في سبعة أيام . أما العدد ٨ فإنه يبدأ
أسبوعاً جديداً . فالمسيح قام من الأموات في اليوم الثامن .
والسعادة ليست ميسورة إلا لمن قاموا من الأموات ، لأنهم هم
وحدهم الذين ينالون ثمار الروح .

لا يكفي أن نقطع إلى يسوع فوق الصليب كنائب عنا ، بل
يجب أن نقبله كرأس لنا ، ونذكر أننا باتحادنا به قد انتقلنا إلى
السموات ، حيث يقم هو ويحكم مع الآب والروح القدس . يجب
أن نكون على اتصال بعصر الروح القدس . يجب أن نعتلى
بالروح . يجب أن نقبل موت المسيح على أساس أنه يعزلنا عن
حياة العالم ، وعن حياة الجسد ، وينقلنا إلى قوة ونعمة الروح
القدس . وإذا ما تم هذا على وجه أكمل ، وتصوّر المسيح في
داخلنا بعمل الروح القدس ، فإننا نحس بقلك الميول التي هي
مفاتيح وأبواب السعادة .

سكان السماء ، ويرفم مردخاي فوق هامان .

والمسيح حقق الصفات والسعادة التي تحدث عنها . لقد كان مسكيناً بالروح ، كما كان في بساطة الأطفال . كان ملكاً وديماً ومقوِّض القلب . كان رحيماً لدرجة أن العشارين والخطاة انجذبوا نحوه . كان نقي القلب لدرجة أنه كان مضطهداً دواماً . يا حبيبنا ، لقد كنت بصفة دائمة المثل الأعلى للكمال المطلق .

كانت سعادته أيضاً كاملة . كانت التجديفات والإساءات توجه إليه . لسكنه كان ثابتاً كالجبل أمامها .

أصغ إليه ، تعلم منه ، تمثل به ، إقبله في قلبك ، أظهره في حياتك ، وبذلك تصور فيك هذه الصفات ، وتشارك أنت في هذه السعادة .

صلاة

أيها المسيح المبارك . إن من تباركهم وتسعدهم يصيرون مباركين وسعداء حقاً . أتوسل إليك أن ترشدني بروحك الصالح إلى التمتع بهذه البركات التي أعدتها لحبيبتك ، والتي تفوق إدراك البشر . آمين .

والامتلاك ، والشعب ، والرحمة ، والرؤيا ، والسلام ، والفرح . وكل من هذه تؤدي للآخرى ، كما تؤدي كل ساعة للتي تليها عند ارتفاع الشمس إلى فوق .

والمسيح يعكس أعز آراء الناس . أخيراً وقفت بجانب بحيرة . وإذا تلاطمت مياها الهادئة مع الشاطئ رأيت أوراق الشجر منعكسة على وجهها . وقد انعكس عليها وضع كل شيء . فالأشياء العالية على الأرض بدت عميقة في المياه ، والمنخفضة بدت عالية في المياه . وأطراف الأشجار العالية بدت عميقة . والزهور بدت قريبة جداً على سطح المياه . ورأيت أن هذا يرمز لما يحدث حولنا . فما يعتبره البشر شيئاً جيداً يُعتبر في نظر الأبدية تافهاً . والذهب الذي نعز به بوضع على أرض أورشليم الجديدة . أما التواضع الذي يغسل أقدام التلاميذ ، والوداعة التي تحتمل الإهانة بهدوء ، فإنهما طابع العالم السماوي . والملك يركب على أتان ، وعلى جمحش ابن أتان . المسيح لا يضم أهمية للكبرياء ، والظروف ، والسلطات ، تلك التي يضع لها البشر أهمية كبرى . وهو يضع أهمية كبرى للوداعة ، والتواضع ، واللطف ، تلك التي يحتملها البشر . هو يرفم الفقر من المذلة ، ويجلسه مع أمراء

ما هي مسكنة الروح هذه ؟

(١) يجب أن نميز بين مسكنة الروح ودناءة الروح :

لم يوجد مسكين بالروح مثل يسوع ، ومع ذلك فإنه في كل موافقه مع الفريسيين والسكبة والسندريم كان شاهخ الرأس ، قوى الروح ، رهيقه تفوق رهبة الملوك ، الأمر الذى أذهلهم ، فاضطر أعداؤه إلى تقديم كل الولاء له مرغخين . لما قال بيلاطس عن المسيح « هوذا الإنسان » (يو ١٩ : ٥) بعد أن كان قد جلد بقسوة ، كان المسيح لا يزال محتفظاً بشجاعته . « وقال الفريسيون بعضهم لبعض : انظروا ، إنكم لا تنفعمون شيئاً . هوذا العالم كله قد ذهب وراءه . وهذه الروح لازمت دواماً أتباع المسيح . فقد كانوا دواماً يحسبون أنفسهم فقراء ومسكين وضعفاء ووسخ كل شيء ، لكنهم لم يجبنوا قط ، ولم تنقصهم شجاعة الروح ، ولم تعوزهم تلك الصفات التى مكنتهم من أن يبقوا ثابتين غير مزعزين و . ط أحقاد أعدائهم ، وكانوا كالصخر الذى يلاطم الأمواج .

(٢)

مفتاح الملكوت

طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات ، (مت ٥ : ٣)

لو كانت سالومة وابناها قد تذكروا هذا التطويب لما كانت قد طلبت قط من المسيح أن يجلس ابناها ، واحد عن يمينه ، والآخر عن يساره في ملكوته ، ولأدركوا أن المسيح لم يكن ممكناً أن يمد بالعروش إلا لمن توفر في قلوبهم الاستعداد الكافى . فالعرش لا يُعطى إلا لمن أعد لهم . يجب أن يكونوا قد أعدوا مسبقاً . واستعداد القلب يقض من مسكنة الروح التى يبدأ منها سلم التطويات ، ويصعد إلى فوق إلى السعادة .

تسبى العروش الأرضية عادة ومعها درجات تصعد إليها . لكن الأمر البارز في عروش ملكوت السموات أن الدرجات تنزل إليها . ينبغى أن نزل إن أردنا أن نملك ، وأن ننحى إن أردنا أن نقوم ونرتفع ، وننطق أنفسنا لنفعل أقدام القلاميذ ، كما يفعل العبد عادة ، وذلك لسكى نشارك سيدنا في عظمته .

ولا تقدم دم الحمل ، بل تتفخر بمجهوداتها الشخصية ، قد تنفق كل ثروتك لإطعام الفقراء ، وتسلم جسدك حتى يحترق ، ومع ذلك تبقى بعيداً عن مسكنة الروح الحقيقية . ومن الناحية الأخرى ، قد تكون غنياً بثروة العالم ، وقلبك عامر بالحبة البشرية ، وعقلك يذخر بالمعرفة والمعلوم العالمية ، ومع ذلك تبقى فقيراً في الروح .

(٣) ويجب أن نميز أيضاً بين مسكنة الروح وبين الشعور

بحقارة النفس .

هنالك أشخاص كثيرون يعترفون بأنهم لا شيء . ويصرون على اتخاذ آخر المقاعد من الخلف ، ويعلمون بأنهم أحقر الناس . ومع ذلك تحس بأنهم متكبرون ، وأنهم يشتهون الجلوس في المقاعد الأولى في الولائم كما ذكر الرب في مثل العرس (لوقا : ١٤ - ١١) . الواقع إن الكبرياء التي تتظاهر بالتواضع كبرياء جداً أكثر من التي لا تتظاهر بأى شيء . في بعض الأحيان نحن نُنظِّهر التواضع لأننا نفخر بأن نشتهر بالتواضع . نحن نجلس بجوار الباب لكي تكون الفرصة مهيأة بأن يدعونا صاحب البيت للجلوس في المقدمة . نحن نتظاهر بالاقتسام وقت شدة الغضب ،

(٢) ويجب أن نميز بين مسكنة الروح وبين الظروف :

لقد هرب الكثيرون مما هو حسن وجميل ومستقيم في الطبيعة والفنون وتحصيل العلوم العقلية واقتناء الثروة . لقد قالوا لأنفسهم : لنهرب من الثروة ، وكنوز الحياة ، لكي نكون مساكين بالروح . لكن يقيناً إن الإنسان قد يُجرِّد نفسه من كل ممتلكاته ، وقد يضر قلبه لعدم توفر شيء يحبه ، وقد يتبدد عقله بسبب عدم المعرفة ، وقد يتوقف تفكيره بسبب عدم تغذيته ، وقد تقصر أيام حياته بسبب عدم توفر حاجيات الجسد ، ومع كل ذلك يبقى بعيداً جداً عن مسكنة الروح .

اشماني بنظرة يارب ،

وأنت ممجد في السماء مع كل القديسين ،

والناس على الأرض يعيدشون في رعد ورفاهية ..

أما أنا فإنني أسجد ألف مرة للمسيح ،

وأستيقظ مبكراً وملابسي مبللة من ندى السماء ..

وفي إعياء تام أرفع الصليب .

هذا افتخار إنسان لا يميز بين فقر الظروف الاختياري وبين

مسكنة الروح . في كل أيام حياة كهذه تظل برأسها روح الكبرياء ،

١ - مسكنة الروح لا تفتخر بما تملكه :

في بداية الحياة المسيحية نحن نسعى باجتهد للحصول على بعض الفضائل والنعيم . لقد قرأنا عنها ، أو رأيناها مجسمة في الآخرين ، إلى أن شدتنا بجاذبيتها . ثم نجاهد للحصول عليها . وفي بعض الأحيان نهىء أنفسنا لأننا حصلنا على جزء منها . وبقينا إن النفس ، إذ تفارق حاضرها بماضيها ، تقول : إنني الآن أكثر طهارة مما كنت ، وأكثر تواضعا ، وأكثر رقة .

والنفس تزين بحليها وجواهرها كما تخرج الشابة من خزانها حليها التي أعطهاها لمحبوها والمعجبون بها . وهذه النفس المعجبة بنفسها تتعظم إذ تسقط سقطة مروعة ، أو يتكرر سقوطها إلى أن نرى بأننا لا يحق لنا أن نملك الصلاح ، كما لا يحق للفرقة أن تملك النور الذي يملأها . فتلك الأمور ليست مملكا لنا ، إنما نحن قد تسلمناها من المسيح ، ونحن نفتتح بها على قدر ما ثبت فيه وهو يثبت فينا . فإنني لست صالحا ، لكن يسوع الثابت في هو مصدر الصلاح . وأنا لست متواضعا ، لكن يسوع الساكن في يستأثر كل فكر مقكبر إلى طاعته (٢ كو ١٠ : ٥) . إنني لست قويا ،

لأننا نتوق من كل قلوبنا بأن منحسب ضمن عداد القديسين . من لنا بالتواضع الذي لا يحب أن يعلن عن نفسه ، بالوجه الذي يشع منه النور وهو لا يعلم ، ببساطة الأطفال التي لا تعجب بنفسها .

لكي نكون مساكين (فقراء) بالروح حقا ينبغي أن نتطلع إلى ربنا المبارك ، الذي « من أجلنا افقر وهو غني لكي نستغني نحن بفقره » (٢ كو ٨ : ٩) . في أجد أعماله كان يتحاشى أن ينسب لنفسه أي مجد . لم يكف عن استخدام سلطانه العجيب وقدرته اللانهائية ، ولغته التي لا تبارى . وذلك كله لم يكن على سبيل الافتخار ، بل من أجل تخفيف الآلام البشرية ، وتقديم اسمي العالم للعالم . لم يكف مطلقا عن التحدث عن إرسالية الآب له ، الأمر الذي يبرزه لنا إنجيل يوحنا أكثر من أي إنجيل آخر . ولم يكف كذلك عن التحدث عن أن مسرته هي إتمام مشيئته هو ، وإتمام العمل الذي سلمه إياه والتحدث بالكلام الذي أعطاه إياه .

إذن فسكنة الروح تظهر في ناحيتين . إنها لا تفتخر بما تملكه ، وتشعر بعدم القدرة التي تتطلبها مستلزمات الخدمة .

ألم تكن هذه هي وجهة نظر الرسول بواس حين قال :
« ولكن لنا هذا السكنز (كنز الله) في إمان خزفي . كخزاني ونحن
دائماً فرحون . كفقراء ونحن نفني كثيرين . كأن لا شيء لنا ونحن
نملك كل شيء » ؟ (٢ كو ٤ : ٧ ، ٦ : ١٠) .

كيف نكون مساكين بالروح ؟

(١) لا اتظن قط بأن أية فضيلة غريزية في طبيعتك ، بل
اعتبر أن كل موهبة وكل نعمة عظيمة من القدير . لكشف بأن
تكون غصناً . إن كنت غصناً تحمل الثمار ناضجة ووفيرة فانسب
ذلك لأصل الشجرة . دع المسيح يحيا فيك . لو كان النور الذي
يسطع على البحر وشاطئه ينسب للأرض التي يسكبها هذا النور
جمالاً لسكانت نعمة المسيح تُنسب لك أو لي كأنها ملك لنا .
« أي شيء لك لم تأخذه ؟ » (١ كو ٤ : ٧) .

(٢) إياك أن تقيس نفسك بمن هم أدنى منك ، بل بالله
الذي في الأعلى . نحن نميل جداً إلى أن نقارن ثيابنا البيضاء
بثياب الآخربن القذرة ، والأحرى بنا أن نقارنها بالثياب التي
« لا يقدر قصار على الأرض أن يبيض مثلها » (مر ٩ : ٣) .

لكنتي قد قبلت ذلك الذي « صار لنا حكمة وبرا وقداصة وفداء »
(١ كو ١ : ٣٠) . وإذ نعتمد اعتماداً كلياً على الخالص ليدنا بصفة
مستديمة من طبيعته بالروح القدس فإننا نُظهر الشعور بحاجتنا
إليه ، وهذا هو العلامة الأكيدة على أن قلبنا هو القلب المنكسر
والمسحق والتواضع الذي لا يحقره الله (مز ٥١ : ١٧) .

ب - ومسكنة الروح تشعر بعدم القدرة التي تتطلبها
مستلزمات الخدمة :

يأتى إلينا الناس متلهفين . فالواحد يقول : إنني مضطرب
عقلياً ، أرجو أن ترشدني إلى العلة . وآخر يقول : لقد أوتيتني
الشيطان بكلمتي ، أرجو أن تحمل وثقي . وآخر يقول : إنني في
حاجة إلى المزيد من الروح القدس ، أرجو أن تعلمني . وآخر
يقول : ابنتي معذبة جداً من الشيطان ، أرجو أن تخلصها منه .
وإجابة على كل هؤلاء يقول المسكين بالروح : ليس لدينا ما يكفي
لكل هذه المطالب . ليس لدينا فضة أو ذهب ، لكن لدينا شيء
واحد نستطيع أن نفعله ، هو أن نصلي ، ونرفع حاجتك إلى الله ،
نحن نرتضى بأن نكون الآنية التي يستخدمها الله لقضاء حاجتك .

يُتَوَجَّحُ ملكنا (المتوارى الآن) ملكاً على العالم . « ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً ، بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس » (رو ١٤ : ١٧) .

إنه لشرف عظيم أن يكون بنو الملكوت بنى الملك . هم أبناء ، ورثة الله الأب ، وارثون مع الملك نفسه .

ويا له من نفوذ عظيم لأن ملكوت الله يعنى سلاماً على الأرض ، ومسرة للناس . كان العرش في نظر ربنا يعنى المقدره على بركة الناس ، وهذا هو السبب الوحيد الذى يدعو الناس ليرغبوا في الجلوس عن يمين العرش أو يساره . إن طلب الملكوت بقصد التظاهر ، أو الأرباح المادية ، أو الكبرياء ، طمع باطل وتافه وذنئ ومحقر . أما الرغبة فيه بقصد التأثير على الناس تأثيراً حسناً ، ووضع نوااميس للحياة الصالحة المستقيمة ، وتعويض الفقراء ، وإنصاف المظلومين ، فهذا قصد نبيل . هذا هو السبب الذى يدعو الساكنين بالروح أن يشتهوا أمجاد الملكوت .

أخيراً : إن الملكوت يعنى الثروة الغنية . اعتقدنا أن نفكر بأن الملك العظيم يجب أن يقضى ثروة كثرة سايمان ، الذى قيل

(٣) تطلم إلى كل الصلاح الذى في إخوتك . هنالك أكثر جداً مما نفكر حتى في من لا يعترفون بأنهم متدينون . « لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه ، بل كل واحد إلى ما لآخرين أيضاً » (في ٢ : ٤) . ليجسب كل واحد غيره أفضل من نفسه (في ٢ : ٣) . قد تكون هنالك بعض الأسباب التى أدت إلى عدم تمكن الآخرين من الوصول إلى أسنى درجات الكمال ، وفي نفس الوقت إن كان الآخرون قد حصلوا على ما نتمتع به نحن من امتيازات لصاروا أفضل منا جداً .

(٤) اعتبر نفسك وكيلاً لله من أجل الآخرين ، بحيث إذا طلبت منك أية طلبه للاغنية ، أو للتعليم ، أو للإنجاة ، فإنك تعترف أمام الله بضعفك الكامل ، وتطلب منه بتواضع بأن يقدم على يديك الطعام السكافي الذى يتوق إليه المسكين الذى جاء إلى بيتك .

وما هو ملكوت السموات؟

عندما كان المسيح يتحدث كان سر الملكوت غامضاً ، ولا زال إلى الآن . لم يكن قد أعلن ، والواقع أنه لن يُعلن إلا عندما

عنه إنه « جعل الفضة مثل الحجارة ، وجعل الأرز مثل الجباز ،
وأنه تعاضم على كل ملوك الأرض في الغنى » (١ مل ١٠: ٢٣ و ٢٧).
إن المسكوت المثالي بوصف بالوفرة والسعة ومصادر الثروة التي
ليست لها حدود . وهكذا الحال في المسكوت الروحي .

قال توما الكميبيسي في كتابه « الاقتداء بالمسيح » : « إن
من يخدموني بكل قلوبهم ينالون نعمة فوق نعمة . ومتى توفرت
النعمة السماوية والمحبة الحقيقية بطل الحسد ، وضيق القلب ،
ومحبة الذات . لأن المحبة الإلهية تغلب على كل شيء ، وتوسع
كل طاقات النفس » .

هذا أمر عجيب جداً ، لا يألفه الناس . فالنفس التي تطلب
دواماً أن تعظم ذاتها ، وتوسع مخازنها ، تفقد مجد الحياة الحقيقي ،
والسكنوز التي تغني الناس . أما من يفكر ذاته حقاً فإنه يطرح
نفسه أمام الله كإناء مهشم فارغ ، ويتعلم أن يردد ما قاله حنة :

قسي الجبازة انخطمت ..

والضعفاء تمنظفوا بالبأس ،

الشباعي آجروا أنفسهم بالخبز ..

والجباع كنفوا .

الرب يقيم المسكين من التراب ،

يرفع الفقير من المزبلة ..

للجلوس مع الشرفاء ،

ويملكهم كرسى المجد !

(١ صم ٢ : ٤ - ٨)

صلاة

أنت يا ربى افتقرت ..

لكي تغنيننا بفقرك ،

أتوسل إليك أن تغنيني بمسكنة الروح ..

لكي أكون وارثاً معك في مسكوتك .

(٣)

سر العزاء

طوبى للجزانى لأنهم
يتعزون « (مت : ٤) »

لقد جاء ابن الله من أمجاد السماء وسعادتها ليهب الإنسان مفتاح السعادة الكاملة ، ليس فقط في الحياة العتيقة ، بل في هذه الحياة أيضاً ، وهكذا تكمل السعادة في قلوب البشر . السعادة أسمى من البهجة ، واللذة ، ونشوة السرور بما نملك . ولعله لا توجد كلمات تكفى لوصفها ، لكن القلب يعرف عندما تدخله .

لقد بيّن الرب يسوع أن حالات الحياة البشرية ، التي يتخوف منها البشر بطبيعتهم ، هي العناصر التي تجعل السعادة ممكنة . لقد جاز الاختبارات المختلفة التي يجوزها الجنس البشرى ، أى دموعنا ، والفقر ، والجوع ، والتجارب ، والاضطهادات ، وبيّن أن هذه هي العناصر التي تنشأ منها السعادة ، كما أن رطوبة الهواء لازمة لإظهار أمجاد شروق الشمس وغروبها .

هذه التطوية واسعة المدى جداً ، لدرجة أنه قد بذلت

المساعي الكثيرة لتعديد مداها وتضييق دائرة سعادتها . يقيماً إن المقصودين بالذات هنا هم الذين يحزنون حزناً مقدساً بلا ندامة (٢ كو ٧ : ١٠) . وإِنَّه لأمر عجيب كيف أصرّ الناس على الاعتراض على وفرة عطايا الله واتساعها . وهم يؤكّدون بمضمهم لبعض بأن الله لا يمكن أن يعنى كل ما يقول ، وأنه يُعتبر خطأ جسيماً أن نشق ثمة مطلقة في تأكيداتنا . لكن ، رغم كل ذلك ، لاحظ قوة هذه الكلمات الهادئة : « طوبى للجزانى ، لأنهم يتعزون » . يقيماً إنها تعنى أن كل حزن يحمل معه مفتاحاً للسعادة والبركة ، وأنه لا يوجد حزن لا يقدم له إنجيل المسيح الشفاء والإغاثة . في هذه التربة تنمو كل الأعشاب التي تصلح لشفاء القلوب الكسيرة . هو يعطى « دهن فرح عوضاً عن النوح ، ورداء تسبيح عوضاً عن الروح البائسة » (إش ٦١ : ٣) .

يجب أن لا يُفهم أى حزين عينيّه عن هذه الكلمات ، كأنها تعنى كل الناس سواء ، وكأنها لا تعنى من كان حزنهم عادياً وبسيطاً . هذه البركة - مثل كل بركات الإنجيل - مقدمة لكل من يريد . يحق لنا أن نصدقها تصديقاً مطلقاً . مهما كانت

يفيحبون عنا تنفجر بنايم الغمر . عندئذ تبكي راحيل على أولادها ،
ولا تريد أن تغمزي ، لأنهم ليسوا بوجودين . وتبكي مرثا
ومريم بكاءً مرأً عند قبر أخيها .

هنالك عزاء لأمثال هؤلاء . ليس بالتحدث عن الموت أو
الانتقال ، ولا بسكثرة الكلام عن نصيب البشر جميعهم ، ولا
بأى مظهر من مظاهر الحزن ، بل بفتح القلب لله لكي يسكب
فيه سلامه المبارك . إن النفس الحزينة تحتاج أولاً وقبل كل شيء ،
وقبل كل شخص ، إلى الله . وإن كان فقد الأجزاء يدفعنا إليه ،
إن كانت النفس التي تمحرم من معوناتها الطبيعية وتعزياتها ،
توجه تفكيرها وأشواقها إلى النور الأبدى ، إن كانت تُدفع
لتحس بقهاه وبطل كل ما يمكن أن تقدمه الأرض ، وتطلب
السكرتوز الحباة في يد الله ، والمقدمة لكل من يطلبونها ، إن
كانت النفس في انكسار قلبها تطلب لمسة الطبيب الصالح الرقيقة
لجروحها وقروحها ، عندئذ يأتي العزاء ، ويأتي المعزي ، ويقول
يسوع : « أنا أفرح لأجلكم إنى لم أكن هناك لقومتموا »
(يو ١١ : ١٥) .

شخصيتك ، ومهما كان حزنك شديداً ، فإنك سوف تغمزي .
إن حصاد هذه السعادة كامن في أعماق هذه البذور المظلمة . وثقل
المجد الأبدى في مقناول يدك ، وهو الذى يجعل ضيقك الحالية
تبدو خفيفة عندما تنظر إليها من المستقبل البعيد . وحتى إن كنت
للآن لم تعترف بأنك مسيحي ، فإن حزنك قد يقودك إلى ينبوع
العزاء الأبدى . فقط لا تيأس ، ولا تنطو على نفسك في حزنك ،
ولا تجعله يفت في عضدك ، بل « اتضع تحت يد الله القوية »
(١ بط ٥ : ٦) .

خمسة ينايع للدموع

(١) تلك التي يفتحها فقد الأجزاء :

في بعض الأحيان تكون الضربة فجائية وغير متوقعة . لم
تكن لدينا فكرة بأن الوداع العادى سوف يكون هو الوداع
الأخير ، أو أن ذلك الوجه سوف لا يعود قط بابسامته . في
بعض الأحيان يذبل ذلك الشخص العزيز ، تدريجياً وبكيفية
منظورة حتمية ، كما تذبل أوراق الخريف ، أو كما يقضال وجه
القمر . طالما كان الأجزاء معنا فلا يوجد أثر للدموع . لكن حالما

وسط هذه الظروف .

والرب قادر أن يعوّضنا عن الأحزان والهموم والمشاكل .
فالكثيرون اعترفوا بأنه لم يكن ممكناً لهم أن يعرفوا محبة الله لو
لم تكن محبة البشر قد خيبت آمالهم ، ولم يكن ممكناً لهم أن
يجدوا الثروة الحقيقية لو لم يخسروا الثروة العالمية التي وضعوا عليها
قلوبهم ، ولم يكن ممكناً لهم أن يدركوا معنى الأبديات لو لم
يخسروا الأرضيات الفانية الباطلة . في لحظات انكسار القلب ،
وفشل كل آمالنا يقترب منا المعزى ليبين لنا ما هو مستقيم أمامه .
عندئذ يقترب منا الله ، فنسمعه يقول : « فدى نفسى من العبور
إلى الحفرة ، فترى حياتى النور » (أى ٣٣ : ٢٨) . إن الحياة
بدون الآلام والتجارب لا معنى لها ، ولا طعم لها .

(٣) تلك التي تفتحتها ضعفات الجسد :

حتى في الحالات التي لا نشكو فيها من مسببات الحزن
السابق ذكرها فإنه قد يكون هنالك شعور داخلى بالكآبة والحزن
وانقباض النفس . في كل أنواع السرات تغدخ روح السكآبة ،
فتقض مضاجعنا . في أجل الأمكنة ، وفي أسعد الأوقات تقسرب

الوجه مرآة القلب . وكمن المرات رأينا هذا الوعد قد تم
« طوبى للحزانى لأنهم يتمزون » عندما تقطم إلى وجه البعض
نراه هادئاً ، يفكر بحنو في حياة الآخرين ، رغم كل ما تكبده من
مرارة الحرمان من النور والبهجة . وأنت لا تجد هذه السعادة
مقوفة في الحياة المقلثة ، بل في الحياة التي أفرغت من نفسها ،
ليس في الطريق الميزر بل المظلم ، ليس في البيت المكتظ بالولائم ،
بل في البيت الذى تبدو فيه علامات الحزن والسكآبة .

(٢) تلك التي تفتحتها المشاكل والهموم والفشل :

نحن ندخل الحياة بآمال عريضة ، لكن سرعان ما تهاجمنا
المشاكل المتعددة . وهل هذا يعنى أن راحة البال انتهت إلى
الأبد ؟ لقد خابت الآمال ، وحلت الخسائر ، وتلبد الجو بالغيوم
السكثيفة . جاء الفقر ، واعتلت الصحة ، وفترت محبة المحبين ،
وتحطم القلب بسبب المظالم القاسية ، وتضاءلت الموارد المالية ،
وجاءت المخاوف من نواح عدة . إن المقاعب التي تهاجمنا في هذه
الحياة لا حصر لها . والأحزان تترى علينا من كل حدب
وصوب . لكن المسيح يقول إن السعادة يمكن توفرها حتى

الأباطيل يدفعنا إلى خقام الأمر كله . والشجرة الآيلة للسقوط
تلزّم الطير بأن يبني عشه في « محاجىء الصخر » .

(٤) تلك التي يفتحها الحزن من أجل الخطية :

هذا هو عمل روح الله . قد تحملنا المتعاب مقمردين ،
وسريعى الانفعال وقساء . لسكن عندما يأتينا روح الله إذ نكون
منسحقين تحت المتعاب ، ويتحدث إلينا عن محبة الله ، وعن
الأمثلة العليا التي تركناها ، وعن القاذورات التي لطخنا بها
ثيابنا ، وعن الإساءات التي سببناها لمن أوتمنا عليهم لإغاثتهم ،
وتعزيزتهم ، وعن الدموع التي سببناها للآخرين ، وعن العثرات
التي وضعناها في طريق الضعفاء ، وعن الوزنات التي دفناها ،
وعن الشوك الذى زرعناه ، نحزن حزناً مقدساً ونذرف الدموع ،
ولا يكون هنالك مبرر للندم عن هذه الدموع . ليت روح الله
ياخذ قلب الإنسان تحت الصليب ، ويرفعه إلى قلب للسميح
الحنون . ليتنا نتطلع إلى ذاك الذى طعمناه . ليتنا ندرك شناعة
الخطية في نظر محبة الله وأحزانه . وعندئذ تُذرف الدموع بلا
توقف من عيون الأبطال في الحروب . وتكون كل دمعة نبتة

إلينا عوامل مهيئة محزنة . في أبهج الأوقات نحس بروح الضجر
وعدم الراحة . وفي الساعات المشرقة نسمع إلى نعمة داخلية تقول :
« باطل الأباطيل ، السكل باطل » . وهذه الشكوى القديمة لا
زالت جديدة .

لسكن في هذه الحالة قد نجد السعادة . فقلب الإنسان لا بد
أن يجد مرارة في كل كأس من كووس الحياة ، وإلا شره لدرجة
السكر أو الموت . يجب أن يكون هنالك مرض في كل ورقة من
أوراق الشجر ، ولوثة على كل زهرة ، وإلا نسي الإنسان أنها قد
مُخلقت لتذبل .

إننى أشكرك يا ربى بقلب مرتاح ..
لأن كل أفراننا تقضلها الأتراح ،
لأن أبهج المسرات ..
تقضلها الأشواك ،
ولهذا تكون سعادة الأرض ..
مرشدة لنا لا القيود .

إن الآبار المشتمقة تدفعنا إلى بنابيع المياه الحية . وباطل

أن يقاثر . كل نسمة هواء محمأة بالصرخات والأنات والصلوات
لطلب النجدة . « كل الخليقة تنن وتمنخض معاً » (رو ٨ : ٢٢) .
الأطفال يئنون تحت يبد الأمهات والآباء السكارى . والنساء
يُظلمن ، ونساء معاملتهن ، ويهجرهن أزواجهن . والشابات
تتعظم قلوبهن ويهجرن عن كن يتوقعن أنهم مخلصون لهن .
والخدم في البيوت ، والمليون ، الكبار والصغار ، يتجرقون تحت
الظالم المروعة . والمرضى يُعذبون تحت وطأة أمراضهم . آه
يا لآسهي ، إن قلبي ينفطر حزناً وأنا أدون هذه الكلمات . ومتى
تضع حداً لهذه المناظر الأليمة ؟ متى تقوم وتنطق بكلمة الراحة
للمتعيين .

لكنها بركة عظيمة أن نحزن هكذا . لأن من يشتركون مع
المسيح في آلامه من أجل البشر سوف يشتركون معه في نصرته
عندما يرى من تعب نفسه وبشبع (إش ٥٣ : ١١) ، عندما
« ينقض أعمال إبليس » (١ يو ٣ : ٨) ، « متى أبطل كل
رياسة وكل سلطان وكل قوة » (١ كو ١٥ : ٢٤) . وحتى الآن ،
توجد سعادة في تخفيف الآلام والأحزان المحيطة بنا ، لأننا إذ

للسعادة . مبارك هو هذا الحزن .

خير لنا أن نحزن من أجل الخطية ، لا من أجل عواقبها .
وليس أمراً عسيراً أن نحزن من أجل العواقب . عندما نحصد
قصاص الأخطاء المرير يكون من اليسير أن نقأسف ونندم ،
ونقول : « آه ، ليتني ما ارتكبت هذا ، ليتني كنت قد فكرت
طويلاً واتخذت حذرى . ليتني أجد فرصة أخرى » . كثيراً ما
جرت هذه الكلمات على ألسنتنا . لكن ليس هذا هو الحزن من
أجل الخطية . فحزن الخطية أعمق وأكثر نبلاً . ودموعه أكثر
طهراً . وفيه لا يوجد أثر لغيرة الذات ، أو الخوف من القصاص .
والخاطيء الشاعر بخطيئة يبكي دون أن يتصنع الحزن ، وذلك عندما
يرى مقدار شناعة خطيئته في نظر الله ، وما فعلته للغيرة الإلهية
والغيرة البشرية ، ولئن يعودون إلى ذاكرته ، أو لمن تأثروا تأثيراً
سينتأج بأخطائه التي لن يُمحي أثرها . والله يحرص على أن يجمع هذه
الدموع ، « ويجعلها في زقه ، ويدونها في سفره » (مز ٥٦ : ٨) .

(٥) تلك التي تفتحها هموم العالم :

لا يستطيع أى إنسان حتى الضمير أن يشهد هذه الهموم دون

نفيث الآخرين تكف عن التأوه على مقاعبنا ، وإذ نسح دموع
الآخرين ننسى أن نبكي .

كل هذا يُقرُّ بنا من « رجل الأوجاع » (إيش ٥٣ : ٣) ،
ويعطينا فكرة عن أحزانه . إن أردت أن تعرف يسوع فعليك
أن تذهب إليه حيث كان يارس يبكي من أجل ابنته ، وحيث
كانت أرملة نايين تتبع ابنها إلى القبر ، وإلى بيت حسدا ذات
الأروقة الخمسة ، وإلى ظلال جنسباني ، وعندئذ يملأنا حزن
كالذي تحدثنا عنه الآن .

ما أروع وأنبيل كلمات المسيح . جميع الناس يجلسون صامتين
عندما يشهد الحزن ، كما فعل أصحاب أيوب عندما جاءوا ليعزوه ،
أو يحاولون بكلمات طيبة أن يحوِّلوا القلب الحزين عن مصادر
حزنه . أما المسيح فإنه يقول : « لا تخافوا من الحزن ، ولا
تتجنبوه . بل واجهوه ، واحنوا رؤوسكم تحت يد الله القوية ،
تطلعوا إلى وجهه ، وثقوا بأن كل شيء قد رُتب بمقاصد رحيمة
جداً ، إسألوه أن يطلعكم على سره ، ثقوا فيه ثقة كاملة . وبعد
الجهاد طول الليل تلقون رئيس الحياة بابتسامته عند الفجر كما

حدث مع يعقوب أبي الآباء » .

لا يوجد أمام المسيح حزن لا يقدر أن يجد له عزاء ، ولا
يوجد حزين لا يقدر أن يعزيه ، ولا توجد نكبة لا يُستخرج منها
دهن الفرح فلنصدق هذا ، ولنأت إليه ، حتى وإن كانت
الدموع تجري من عيوننا ، والجلدات قد مزقت ظهورنا ، واثقين
أن لديه بلساناً يحوِّل ظل الموت إلى نهار مشرق .

هذه هي تعزيات المسيح

(١) إحساس بحبة الله ، وبأنها فينا ، وتحيط بنا ، وفوقنا ،
وتحتنا ، في كل حين ، وفي كل مكان ، في كل الظروف الحلوة
والمررة ، المفرحة والحزينة ، في كل الاختبارات المتصلة بالعالم ، أو
بقلوبنا .

(٢) سر القواضع ، الذي يخضع لظروف الحياة ، لأنه تعلم
الثقة بأن حبة الله الرحيمة التي لن تحطى قط هي التي سمحت بها .

(٣) التحقق من غير المنظور الأبدى ، الذي يحيط بحياتنا
القافية ، كما يتخلل الأنسیر عالمنا ، وينزل إلى أوديقه ، ويشمل

بضوء الحق والسلام والمحبة إلى الأبد ..

حول عرش الله الصمد ،

وعندما تصعد روحنا المسترشدة بالسماء ..

تبطل كل هذه الخطايا ويُقضى عليها بالفناء ،

وإذ نتزبن بالنجوم نجلس إلى الأبد ..

منتصرين على الموت وعلى الزمن .

صلاة

يا من صعدت إلى السماء لكي ترسل لنا الروح القدس
ليعزينا في كل أحزاننا وضيقاتنا ، أرسله لي أنا أيضاً لكي أعزي
الآخرين بتمزيانه الحلوة . آمين .

جباله ، ويتخلل طرقاته .

(٤) وجود المعزى معنا . قال الرب يسوع : « أنا أرسل

لكم المعزى » . ويا للتغيير العجيب الذي أحدثه . فقبل مجيئه كان
التلاميذ غارقين في حزن بلا رجاء . كانوا مشلولين بسبب شدة
الألم . جلسوا في العلية منسحقين ويائسين ، إلى أن جاءت الساعة
الفرحة . إلى أن أعلن لهم المعزى أن المسيح قد قام ، وأنه حي ،
ومجدد . وعندئذ تحول حزنهم إلى فرح ، وتم تأكيد الخالص لهم
بأنه سيراهم ثانية ، فتفرح قلوبهم ، ولا ينزع أحد فرحهم منهم
(يو ١٦ : ٢٢) . الناس يرون النجوم من ظلمة الجب . ومن
ظلمة الحزن نرى وجه المسيح إذ يعلنه لنا الروح القدس .

(٥) رجاء السماء . هناك نلتقي ثانية بمن انتقلوا من

الأحباء والقديسين ، وهناك تمسح يد الله الدموع من عيون
الجميع . هناك يغطي الفرح الجزيل على مقاع الأرض وآلامها .
هنالك لا يبقى أثر للخطية ، والفشل ، والتقصير في أداء مهام
الحياة . هنالك يُفسر سر الإثم ، وتنتهي عواقب الخطية .
والموت والهاوية يُطرحان في بحيرة النار ، بينما :

أن الوداعة لازمة بصفة خاصة عندما يُطلب منا أن نواجه من
يختلفون معنا في الإيمان ، ويهاجمون شهادتنا الشخصية .

إذن ، ألا يحق لنا أن نقول إن مسكنة الروح والتواضع هما
شيء واحد ، وبدلان على اتجاه الروح نحو الله ، عندما يحس المرء
بالبون الشاسع بين عظمة الله وبين حقارته ، بين طهارة الله وبين
نجاسته ؟ أما الوداعة فهي اتجاه الروح نحو البشر ، سيما نحو
أخطاء العالم ، نحو الشرور التي يرتكبها الناس ضد بعضهم البعض ،
سيما ضد قديسي الله .

التواضع صفة تلازم دواماً القُداسة الحقيقية . فالأربعة
وعشرون شيخاً خروا قدام العرش ، وطحوا كأليلهم عند
قدمي الله في تذل كامل (رؤ ٤ : ١٠) . أما في السماء فمع أن
الوداعة تلمع بضياؤها الكامل إلا أنها لا تمارس ، لأن المقاومين
لا يكون لهم وجود هناك ، لأن « العدو والمنقَم » يكون قد
أسكت إلى الأبد (مز ٤٤ : ١٦) .

الوداعة تتضمن في قوة الأخلاق . لكن الناس لا يفكرون
هكذا دواماً . فكثيراً ما قيل بأن الوداعة تنم عن الضعف ، وإن

(٤)

ميراث الأرض

« طوبى للودعاء لأنهم يرثون

الأرض » (مت ٥ : ٥)

هذه هي ثالث فرقة عسكرية في جيش الرب العظيم وثالث
باب للحياة المباركة السعيدة ، وثالث خطوة نحو العرش . لكن ما
هو نوع هذه الوداعة ؟ وكيف يختلف الودعاء عن المساكين بالروح ؟

واضح أنه يوجد فرق . فقد قال الرب إنه « وديع ومقواضع
القلب » (مت ١١ : ٢٩) . بينما شدد الرسول على قديسي أفسس
للتعلى بالتواضع والوداعة وطول الأناة تمثلاً بالمسيح (أف ٤ : ٢) .
لكن ما هو هذا الفرق ؟ إن للفلاح لهذا نجده في فقرة من الرسالة
الأخيرة الخالدة التي كتبها الرسول بولس في أواخر أيام حياته ،
التي أعطى فيها لتلميذه الشاب تيموثاوس تعليمات أخيرة ، سيما
نحو من قاوموه . قال الرسول : « وعبد الرب لا يجب أن يخاضم ،
بل يكون مترفقاً بالجميع ، صالحاً للتعليم ، صبوراً على المشقات ،
مؤدباً بالوداعة المقاومين » (٢ تي ٢ : ٢٤ و ٢٥) . هنا يتبين

التي أزمتم بيلاطس باحترامه رغم أنه . يالها من قوة إذ قاوم
الإغراءات الناعمة والتجربة التي عرضت عليه أن يشفق على نفسه
ولا يقدم نفسه للصليب ! . يالها من قوة تلك التي تجلت في إتمام
عملية الفداء رغم علمه بما كانت تقبله من آلام مريرة لا تحتمل .

إن عدم فهم الناس لقوة هذه الوداعة ناشئ أكثره من
المظهر الرقيق الذي يتخذه الشخص الوديع ، وضبط النفس الذي
يستخدمه ، خطوات قدمه البسيطة ، ونغمات صوته الرقيقة . إنهم
لا يدركون كيف يُخفي الوديع قوته ، وكيف إن الضنط على
نفسه لعدم إظهار قوته أشد من إطلاق العنان لها . إن المرء شديد
الانفعال ، الحاد الطبع ، عندما يتكلم بركة ، ويتصرف بهدوء أمام
الإهانات العنيفة ، والإهانات الشديدة ، يكون أقوى جداً ممن
يثور ويتهيج . واليد الناعمة التي تكبح الجواد الجامح لاشك في
أنها قوية جداً .

آه ، أيها الإخوة الثائرون ، يا من تثورون لأقل سبب ،
إنكم لا تدركون مقدار ضعفكم ، مع أنكم تتبجحون وتفاخرون
بقوتكم . مع أنكم لو كبجتم جاح غيظكم ، وتغلبتم على عواطفكم

الودعاء يقابلون بالاحترام الشديد . لا يوجد لقب يمجبه أهل العالم
مثل لقب « وديع » . والشاب يفضل أن يُقذف عليه حجر ثقيل
عن أن يقال عنه إنه وديع . عندما يقال عن إنسان إنه وديع فإن
أول ما يخطر ببالنا أنه رخو وهزيل وتافه .

وعندما ندقق البحث في حياة بعض رجال الله يتضح أن
حكم العالم السطحي هذا كاذب من أساسه ، كما يحدث في كثير
من الأحيان . فوسى ، الذي كان أكثر الناس وداعة وحلماً
(عد ١٢ : ٣) كان قائداً قوياً ، قاد شعبه بمقدرة فائقة لدى
خروجهم من مصر . وبولس الرسول الوديع كان قوياً في احتمال
الاضطهادات ، كما كان سابقاً قوياً في توجيهها للكنيسة ، ووقف
كالصخر أمام مقاومات بعض المؤمنين من اليهود ، وكان منطقة
القوى هو الذي وضع أساس الكنيسة القوي بحكمة سوّت بين
اليهود والأمم .

ومن ذا الذي يجرؤ على القول إن الرب يسوع المسيح لم يكن
قوياً إذا ما نُظر إلى طبيعته من الناحية البشرية فقط ؟ مع أنه
كان حملاً وديعاً ، لكنه كان أيضاً الأسد الخارج من سبط
يهوذا . والوداعة التي قابل بها إهانات أعدائه لم تحجب القوة

الفاخرة ، لأظهرتم أنسكم أقوياء .
والوديع يقاوم الدوافع التي تدفعه للانتقام لنفسه . عندما تلحقنا أية إساءة فإنها تحرك في قلوبنا عاطفتين ، الأولى شخصية ، والثانية عامة . الأولى سريعة وحادة ، والثانية تُسَظْهر نفسها عادة بعد بضع سنوات من التعليم في مدرسة الاختبارات . من الطبيعي أن نفتقأ جداً عند الشعور بأية إساءة تلحقنا . ولعله يكون بالحرى ربحاً جزيلاً عندما ينسب الناس الإهانات التي تلحقهم لشر العالم ، ولا يعتبرونها إهانات شخصية ، يؤيدهم في هذا ما يروونه من بحار الدموع والدماء التي تفيض على العالم ، وتزور كل شاطئ ، وتفتحم كل بيت .

الوديع رجل هادىء . لقد جمع الرسول بطرس هاتين الفضيلتين معاً عندما قال إن النساء يجب أن لا تكون زينةن التحلى بالذهب ، ولبس الثياب ، بل « زينة الروح الوديع الهادىء » . الروح الوديع هادىء وهو يحتمل ويقالم في صمت ، ولا يتحدث عن الإساءات التي حلت به إلا في أذن الله ، وعندئذ لا يطلب منه أن ينتقم ، بل أن يعدد القلوب . الشخص الوديع يبكى من أجل الميء أكثر مما يبكى من أجل جروحه ، ولو كانت الدماء تنزف منها بغزارة . إنه يدهن رأسه ويفسل وجهه ، دون أن يُسَظْهر آلامه للناس . ومن هذه الثمة الهادئة تأتي القوة المقتدرة ، التي تحتمل ، وتؤمن ، وترجو ، وتصبر على كل شيء ، إلى أن تغلب بقوة الصبر . لا شيء يُبطل فعل قذيفة المدفع مثل الرمال .

والوديع يحتمل الإساءات . عندما حث الرسول بولس

أما مع الوديع فالأمر بعكس هذا . فإنه عندما تلحقه إساءة ترشده نعمة الله ليحزن من أجلها ، على أساس أنها علامة على تماسة الشخص الذي يوجه الإساءة ، وعلى كثرة المظالم التي يروح العالم تحتها . وبعبير آخر إنه يقالم كابن للآب العظيم ويدرك شيئاً عن آلام قلب الله لما يحتمك بمظالم هذا العالم ، وبترك الأمر لله لسكى ببرئته ، ولسكى ينتقم ، ويصلى لسكى يجعل الله ذلك اليوم

مؤمفي كورنثوس بأن لا يحاكموا بعضهم بعضاً أمام المحاكم قال لهم : « لماذا لا تظلمون بالحري ؟ » (١ كو ٦ : ٧) . إنه خطأ شنيع أن ندع العاطفة التي تؤذينا تخلف عاطفة مثلها . ينبغي أن ندرك بأن الكلمات الشريرة والقصرفات الشريرة التي تؤذينا منبعثة من نار جهنم ، ولا شيء يقوم مقاصد عدو نفوسنا مثل انتقال العواطف النائرة من المسء إلى المساء إليه ، ومن هذا الأخير إلى غيره . عندما يكون الموقد ممثلاً فمما متقدماً ، ويقلب لكي يشعل بيثماً ، فإن هذا يوضح لنا كيف ينقل المرء أفكاره وإحساساته إذ يكون ممثلاً حقداً وضيعينة وحسداً . هذا خطر شديد يهاجمنا كلنا . إن السريعي الانفعال سريعو الانفجار . إنهم يشبهون الحطب أمام النار ، والبارود أمام شرارة النار . وبالعكس ، إن الوديع يقابل الإساءة بمقاومة سلبية تطافيء نارها ، بإجابة هادئة رقيقة تحوّل الغضب . وإذ يقف هادئاً رافضاً أن يشتمل غضبه فإنه يكون سداً منيعاً لا تنفذ منه أول جرائم للمرض الوبائي . والروح الوديع يشبه شجر الكافور المضاد للفساد والعفونة ، ولا تنتشر منه جرائم حدة الطبع . إذا ما استقطعنا

أن نحيط كل شخص غضوب بجماعة من الودعاء فإن حدة طبعه تأكل نفسها .

والوديع يعتقد أن الشر الذي يصيبه قد سمح به الله لمقاصد حكيمة . لما كان داود صاعداً على جبل الزيتون تقدم شمي ليسبه . فطلب آيشاي من داود أن يأذن له لكي يبطش به . لكن الملك الوديع قال : « دعوه يسب لأن الرب قال له سب داود » (٢ صم ١٦ : ١٠) . في هذه الكلمات القوية المرّة اكتشف داود صوتاً آخر ، هو صوت ذلك الذي أحبه كأب ، مع أنه كان يكره حقيقته كراهية شديدة .

آه ، خليك بنا أن نعتقد دواماً بأن الله يأمر بما يحل بنا ، أو يسمح به . هو يأمر عندما تأتينا الأدبيات من قبل العناية الإلهية . وهو يسمح عندما تحل بنا « ضربات بني آدم » (٢ صم ٧ : ١٤) . إنه لأمر يسير أن نكون ودعاء أمام يهوذا الإسخربوطي وفرقة التي معه عندما نقدر أن نقول : « الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها ؟ » (يو ١٨ : ١١) .

الودعاء ببالغون الإرشاد بكيفية عجيبة . « يدرّب الودعاء في

مفاخر الأرض . لكن أهل العالم لا يصدقون هذا . فإنهم يظنون
أن الودعاء يعاملون أشوأ معاملة ، لأنهم لا يريدون الدفاع عن
حقوقهم ، ولا يسكون السيف للدفاع عن أنفسهم ، ولا يعاملون
الناس بنفس معاملتهم . لكن كلمات المسيح لن تسقط على الأرض .
فالودعاء يجدون لذة في أفراسهم البسيطة أكثر مما يجد فاعلو
الشر في كل ثروتهم . وأتقياء القلب يجدون بنابيع من السلام
والسعادة في المناظر العادية والأصوات العادية ، ولا يحسون بأى
أثر لو خزات الضمير أو الذكريات المريرة لما لحق بهم من إساءات .
والولد الراعى الصغير ، الذى ذكره يوحنا بنيان في كتابه « سياحة
المسيحى » ، وجد لذة في الوادى المنخفض أفضل من أجمل الجبال
وأغناها . لا تنزعج عندما تلحمتك أية إساءة ، بل عليك أن
تتحلى بالصبر . إخفتىء تحت جناح الله . لا تدع شيئاً يسلبك قوة
الفرح بالأولاد والعصافير ، والزهور ، والمسرات البسيطة البريئة .

لا شك في أن الوقت آت عندما يُغلب العالم نفسه أمام
وداعة ورقة المسيح وقديسيه . سوف يتغلب الفجر الهادىء الوديع
على الليل المعجاج . وعندما يأتى الربيع الجميل الرقيق فإنه يهدىء

الحق ، ويدلم الودعاء طريقه « (مز ٢٥ : ٩) . المرء المحتمد الروح
يمعز عن أن يتبين تحركات عود الله المرشد . وحدة الغضب
تثير عاصفة تعكر وجه السماء وتكدر المياه الهادئة في البحيرة .
وعندما تضطرب مياه النفس تغطى على صوت الله الهادىء الخفيف .
ولذلك فعندما تلحمتك الإساءة اصمت واهدأ . انتظر الله . هو
يبين الطريق الذى يريدك أن تسلك فيه ، ويرشدك إلى الإجابة
التي يريدك أن تكلمها ، وتصرفات المحبة التي يريدك أن تتخذها .
والودعاء يعلن الله برهم . سبق أن تنبأ النبي عن المسيا أنه
« يحكم بالإنصاف لبائسى الأرض » (إش ١١ : ٤) . أى لودعاء
الأرض . ليس في العالم العقيد فقط ، بل الآن أيضاً ينتصب كرسى
القضاء ، وإليه يلجأ المظلومون ، وبدافعون عن أنفسهم ، والرب
يصغى إليهم وينصفهم . مما يلاحظ باهتمام كيف أن المظالم التي توجه
للبائس ترجع دوماً على الظالمين ، مثل السلاح الاسترالى الخشبي
القديم الذى يرمى به فيعود لقاذه . قطع أدونى بازق أباهم أبدي
وأرجل سبعمين ملكاً ، فقطعت أباهم يديه ورجليه (قض ١ : ٧٦) .
صلب اليهود يسوع الناصرى فصلب الرومان السكثريين منهم .
والودعاء يرتنون الأرض . حتى الآن يحصل الودعاء على أحسن

(٥)

الجوع والعطاش يشبعون

طوبى للجوع والعطاش إلى
البر ، لأنهم يشبعون ، (مت ٥ : ٦)

تنبع هذه الخاصية - الجوع والعطاش - بصفة طبيعية من
الخواص السابقة . إلى الآن كنا نقامل في الناحية السلبية للصفات
المسيحية - مسكنة الروح التي تنحني أمام الله ، ولا تفكر في
نفسها أكثر من أنها خاطئة نالت القداء - الحزن الذي يكتئب
سراً بسبب شر العالم وشر القلب - الوداعة التي تعلمت أن تحتمل
التوبيخ والإساءة بهدوء . أما الآن فإننا نرى الناحية الإيجابية
تُبرز نفسها . فالمرء الذي دفن وجهه في التراب ، أو بلّقه الدموع ،
أو غطاه الخزي والعار ، يرفعه الآن إلى الله صارخاً مع داود :
« كما يشواق الإيل إلى جداول المياه هكذا تشواق نفسي إليك يا
الله » (مز ٤٢ : ١) . كنت تسيء فهمه ، وتظن أنه وهنت قواه
جداً ، وعجز عن مواصلة سعيه . أما الآن فإنك ترى أن كل

عواصف الشتاء . وأبطال الصليب ، المتشعرون بثياب القداسة
والوداعة سوف يكتسحون جحافل الخطية .

أتريد الحصول على هذه الوداعة ؟ ليس لها ينبوع تنفجر منه
سوى ينبوع الذي فُتح في قلب المسيح ، والذي يقدمه روح الله ،
لأن الوداعة ثمرة من ثماره . يا للوداعة التي بها تحمل روح الله
منازعات الناس ومقاوماتهم (عب ١٢ : ٣) . فلنثبت فيه
مقوسلين إليه أن يُظهر فينا هذه النعمة ، وبعيننا على أن ننقلها
إلى العالم .

صلاة

أيها المخلص الوديع الرقيق ، الذي إذ سُتِمت لم تشتم عوضاً ،
وإذ تألمت لم تهتد (١ بط ٢ : ٢٣) . أعطني من روحك ،
لكي أكون هادئاً وقويًا في احتمال الإساءة ، فأغلب الشر بالخير
(رو ١٢ : ٢١) .

قوى طبيعته تمر في قنوات لا يراها البشر، وتتجه بشدة نحو الأبدى غير المنظور.

إن شهوة النفس المتعددة لا تتجه فقط نحو الله، بل نحو البر، هي تشتهى الحق وعمل الحق وتسلك في كل شيء حسب المثل الأعلى لله، وأن يكون لها ضمير بلا عثرة، وأن لا يدينها القلب. لا يكفيها أن تحس بالضعف والجهل، أو تحزن من أجل الخطية. فالثائب الحقيقي يشتهى أن يتعلم سر السلوك أمام الله في قداسة وبر كل أيام حياته.

والشيء الوحيد الذي يجب أن نقدم عليه هو أن شهواتنا نحو الله ونحو بره ضعيفة جداً. الجوع يسبب الألم. ولا شيء يزعج النفس مثل آلام العطش الناشئ من حرارة ورمال الصحراء. ويندر أن نرى تاريخ حياة أشخاص اختبروا القمعش الطبيعي للطعام والشراب. ولماذا؟ أيجوز لنا أن نسأل كيف نفمى ونضاعف هذا القمعش لله بحيث لا نحتاج إلى الضغظ على أنفسنا لملاحظة أوقات الصلاة والعبادة وتذكر اسمه، ونشتهى هذه كما بعد الجائع الدقائق الباقية لتناول الطعام؟ فلنذكر بأننا لا

نعرف إلا القليل عن تلك الأشواق نحو الله التي سكنت في قلوب كل القديسين. ولنذكر أن عدم معرفتها هو علامة ضعف الحياة الداخلية. ليت الله يخاق فينا هذا الجوع وهذا العطش، حتى وإن سببا آلاماً مستمرة في حياتنا، وذلك لكي ندرك السعادة التي تأتينا عن طريق معرفة الله ومحبهه.

١ - الشهية الروحية

إنها تنشأ من تكوين طبيعتنا. نحن لا نقدر أن نقضى حدودها، لأن الله هو الذي خلق الطبيعة بفكره وبقدرته. عندما نتحدث عن الطبيعة يجب أن ننقل تفكيرنا منها إلى الله خالقها، فنجد أن الجواب الشافي لكل الأسئلة والمشاكل هو أن نقول: « هكذا أرادها الله أن تكون، وذلك فهي كائنة على هذا الوجه ».

يجب أن نذكر بأن مصدر كل الفرائز القوية الجوهرية التي للطبيعة البشرية راجع لكياننا الأدبي الذي خلقته الحكمة الإلهية، بالقدرة اللانهائية. هل نسأل لماذا وجدنا عقيدة خلود النفس والحياة العقيمة في كل أمة تحت السماء؟ لماذا تقترن خطايا

لكنه لن ينسى الموسيقى الكاملة التي سبق أن سمعها ، ومنظر الجمال الكامل الذي سبق أن رآه . إن التفكير في الله يلازم الإنسان ، كذلك التفكير في موطنه الأصلي . ومهما تمرغ في الخطية والشر فإنه لن ينسى الله نسياناً مطلقاً . وسوف يأتي الوقت في حياته الذي فيه تستيقظ النفس المسكبة بالقيود ، السجينة ، المسممة بالخدرات ، وتقوم وتخرج ، وتبدأ بأن تصرخ بمرارة قائلة : « لقد أخطأت وعودت للمسقيم ولم أجاز عليه » (أى ٣٣ : ٢٧) -
أى ولم أرفع بما فعلت شيئاً . « روحك الصالح يهدى في أرض مستوية » (ز ١٤٣ : ١٠) - أى في أرض الاستقامة . « ضلت كشاة ضالة ، اطلب عبدك » (مز ١١٩ : ١٧٦) .

إنها تسبب الألم . هنالك مصادر كثيرة للألم . لكن لعل الله قد سمح به مبدئياً ليلزمنا باتخاذ الإجراءات اللازمة لصحتنا وسلامتنا . إن الآلام الشديدة الناشئة من تسوس الأسنان تُقصد بها أن تُلمزنا بأن نحسن المضع . وألم الجوع والعطش يُقصد به أن نبجث عن الطعام الذي بدونه يقرب الجسد ثم يموت . ما أرق حجة الله في معاملة لبنيه إذ يرسل إليهم الآلام ليأخذوا

الكذب والسرقة والقتل بالشعور بالخجل ، والرغبة في إخفائها ؟ لماذا نجد في أقدام مواطن الإنسان آثاراً للمذبح والميكل ؟ ولماذا تنجذب قلوب بعضهم البعض بحجة لا تزول ؟ إن الجواب الوحيد لسكل هذه الأسئلة هو : « إن هذه الأمور أوجدتها الطبيعة التي غرسها الله فينا » . هي ضرورية جداً وأساسية وجوهرية ، ولازمة لزوم تقاطيع الوجه ، ومثل المبادئ الأولية في علوم الرياضة والحساب .

نحن نجوع ونعطش لأن تكوين جسدنا قد خُلق بحيث يطلب الطعام والشراب من تلقاء ذاته . لا يوجد بيننا من يعيش مكفئياً بذاته ، ومستقلاً عن العالم الفسيح الذي نكون نحن جزءاً منه . أما الأسئلة التي توجهه كيف وُجدت الأمور هكذا فإنها لا تغير من حقيقة الأمر الواقع ، وعلى هذا المقياس نقول إن الله خلق نفوسنا لشخصه . لقد وضع في أعماقنا مطالب ورغبات تتطلب الشبع من الله غير المنظور ، الأبدى .

نحن نستطيع أن نرى أرض البر والسعادة التي أُنبتنا منها . إذ جذبت الكبرياء جنسنا البشرى نزل إلى هذا الجو الفاسد ،

العشار . ففكر في هذا برارة إن لم تكن الخطية قد عكرت صفو حياتك بهد ، وقضت على سلامك . اغتم إن كنت لا تحس بالرغبة في حياة أفضل ، ولا تشاق إلى البر ، وتحس بأنك مستريحاً بمائك الحاضرة ، ولا تحس بالحاجة لطلب الله . وهذه كلها علامات خطيرة تنم عن أمراض خطيرة .

قد تكون كل واحة نشاط الإنسان هي - كما قال الرب يسوع المسيح - ماذا نأكل ؟ وماذا نشرب ؟ وماذا نلبس ؟ وأين نسكن ؟ هذه المطالب الأساسية هي التي تحرك العالم . وعلى هذا المقياس نقول إن تشوق البشر الشديد نحو الموسيقى ، والفنون ، ومحبة الجمال ، والسعي نحو الصالح العام ، يرجع إلى تشوق النفس نحو ما لم تصل إليه . فهي لا تجد كفايتها في ذاتها ، ولا تعرف دواماً ماذا تحتاج إليه ، مثل الطفل الذي يحس بالآلام الجوع ويصرخ بشدة ومرارة . أثناء المجاعات الشديدة التي حدثت في الصين والهند كان أهل البلاد يعيشون على نوع من الطين يمكن أن يؤكل . كان هذا الطين يسد رمقهم ، لكنهم كانوا يضعفون تدريجياً إلى أن يموتوا . وهناك نبات في أستراليا يسمى « نارود »

الاحتياجات اللازمة لسلامتهم .

هكذا الحال في الناحية الأدبية . فإننا يجب أن نشكر الله عندما لا نرضى بمآلتنا ، وإذا نكره أنفسنا نصرخ إلى الله طالبين به ، عندما نتحول عن طرقنا المعوجة بالاشمئزاز . وعندما تحمل بنا حالة الضجر وعدم الراحة . إذخر مثل هذه الاختبارات لأن نعمة الله تستخدمها لكي ترجع إليه . كانت هذه العبارة « باطل الأباطيل » التي طالما كررها سليمان في سفر الجامعة هي العلامة على شفائه .

وهي عامة شاملة . كما إننا لم نر قط رجلاً أو امرأة يعجزان عن الجوع والمعش هكذا لا يوجد إنسان يعجز عن أن يحتوي الله في قلبه ، أو لا يريد به كل أيام حياته ليمهه حياة كاملة . كثيراً ما تنام الشهية الروحية ، كما يحدث مع من استعبدوا للمسكرات . فالطفل الذي اتخمت معدته بالحلوى ، والناقة من المرض الطويل الشديد ، قد يفقدان شهيتهما ، لكنها قد تستيقظ في أي وقت . هكذا الحال مع تعطش النفس إلى الله . فقد استيقظت في المرأة التي كانت خاطئة ، وفي اللاص الذي آمن على الصليب ، وفي زكا

عرجوا على بائع الحلوى في طريق عودتهم من المدرسة إلى البيت ،
ولذلك صُدت شهيتهم . أليس مطلوباً منا - قبل أن تنفصح شهيتنا
لكلمة الله - أن نكف عن قراءة الكتب القذرة التي نقرأها بنهم ؟
إن الروايات العاطفية ، والأحاديث القذرة ، والإفراط في تناول
الطعام وفي الشهوات الجنسية تسرع في جعلنا عاجزين عن التمتع بالله .

والأمر يحتاج إلى التدريب . كلما ازدادت التدريبات الجسدية

ازدادت حاجتنا إلى الطعام ، وازددنا تمتعاً به . الألعاب الرياضية ،
والمشي الطويل ، وإجهاد العضلات بأية طريقة - هذه كلها تنفصح
الشهية للأكل ، وتجعل أبسط الطعام لذيذاً . والذين يندران
يرفعوا أيديهم عن المحراث ، الذين يزرعون بجوار المياه ،
ويشتملون في وقت مناسب ووقت غير مناسب ، فإنهم أكثر
من يفرحون عندما يدق الجرس للراحة وتناول الطعام .

تناول المقويات . لا يوجد مقوٍ للشهية الروحية أعظم من

سير الآباء القديسين . وجميل أن نجد الكثير منها في تناول
أيدينا . وكثيراً ما كانت سير الآباء باعثة لمن يقرأها على طلب
الروح القدس .

يشبه الدقيق تماماً ، لكنه خالٍ من عناصر التغذية ، والذين
يأكلونه لا يحسون بالجوع ، لكنهم بعد أسابيع قليلة يموتون
جوعاً . هذا هو حال الناس الذين يطلبون ما ليس هو خبزاً ،
ويرفضون خبز الله ، الذي هو المسيح ، ويأكلون الرماد (إش ٤٤ :
٢٠) ، قد ينجحون في إخماد شهيتهم لله الأبدى غير المنظور ،
ومع ذلك يهلكون بسبب انقطاع صلتهم بالله .

٢ - طبيعة الشهية الروحية

نحن لا نعرف إلا القليل عنها . لا نقدر أن نقول دواماً
مع المرثم : « فرحت بالفائلين لي إلى بيت الرب نذهب » (مز ١٢٢ :
١) ، « انسحقت نفسي شوقاً إلى أحكامك في كل حين »
(مز ١١٩ : ٢٠) ، أو مع أيوب : « أكثر من فريضة ذخرت
كلام فيه » (أى ٢٣ : ١٢)

وهناك القليل من الإرشادات البسيطة لإنعاش شهيتنا
نحو الله :

احذر من الطعام الآخر الذي تتناوله . عندما لا يقدر
الأولاد أن يتناولوا الطعام الذي أعدته لهم أمهم فقد تظن بأنهم

وعلى موقفنا بإزاء الله ، على أن نقدر أن نكتفى بالحياة مع الله ، على أساس أنه هو وحده الغذاء المشبع للنفس . قال هندسون تيار - المبشر لبلاد الصين - في إحدى المرات : « لقد قضيت أربعين سنة في الصين ، ولم أعمل هناك إلا القليل . وقد حرصت على أن أختلي بالله كل يوم ، وأعرف الله نفسه ، وأعرف أن قلبه محبة ، وأن قلبه يحرك يده لكي يغيثنا » . هنا مثل يجدر بنا أن نقمئله به .

٣ - المثل الأعلى لإشباع هذه الشهية

يقول مثل قديم : « الله لن يخلق أفواهاً ويتركها ، لكنه يخلق معها ما يكفيها من الغذاء » . وأشبال الأسود لا تطلب إلا ما يقدمه لها الله . يخلق للسمك الذبان الذي تحتطفه ، وللطيور النباتات التي تلتهمها ، وللرضيع اللبن المخزن في ثدي أمه . وكل غذاء يناسب آكله . وغريزة حب الخلود تناسبها المنازل التي ذهب المسيح إلى السماء ليعدها لنا ، والشهوة إلى المدنية تناسبها المدينة التي لها الأساسات ، والرجاء الحى الذى له ولدنا بقيامة المسيح تناسبه ثماره . وكل ما تشاقق إليه أنت وأنا فى أقدس لحظات حياتنا قد دبرته لنا نعمة الله الغنية . لا يوجد جوع ليس

إصعد إلى الجبال . إن أفضل منعش للشهية هو الهواء النقي المنعش المحيط بمذابح العالم الطبيعية التي خلقها الله حيث تنمو أشجار الصنوبر ، وتنحدر الينابيع إلى أسفل ، وتبدو أصوات الوادى بعيدة . ليس شيء يقوى الصحة مثل الصعود للمسيح فى الجبال العالية حيث اعتاد أن يصلى . هناك تشبع الدورة الدموية بالهواء النقي ، والعين تلمع بالرؤى الصافية ، وشهية النفس تقوى . ينبغي أن لا نكتفى قط بالمستويات المنخفضة ، والأشواق المائعة ، والمثل العاقبة التي تُرضى أصدقاءنا . إن الرجاء الوحيد للفنان المبتدئ هو أنه يجب ألا يكتفى بالمستوى الذى ينجح فى القرية التي ولد فيها ، بل تلك التي تعتبر أفضل ما يُعرض فى المدن الكبيرة . والرجاء الوحيد لفرخ الأوز العراقى المولود فى المزرعة هو أن لا يكتفى بأن « يبلط » فى البرك الشحيحة المياه . ورجاء النفس هو أن لا تقارن ذاتها بمن هم أدنى منها ، بل أن تثبت نظرها نحو بر الله المعلن فى حياة يسوع وفى كلامه : « ليس لى قد نلت ، أو صرت كاملاً ، ولست أسمى ... أمقد إلى ما هو قدام » (فى ٣ : ١٢ و ١٣) . يجب أن نحرض على تطبيق أعلى المثل للحق على أنفسنا ، على أقربائنا ، وعلى علاقاتنا مع زملائنا ،

هل أنت شبعان ؟ هل تعرف ما هو معنى الشبع ؟ هل تعرف معنى قول الرسول إن الرسل « مملوون فيه » ؟ (كو ٢ : ١٠) . إن كنت لا تعرف ، وتريد حقاً معرفة هذه الاختبارات فالله « يملأ كل احتياجك بحسب غناه في المجد » (في ٤ : ١٩) . من يسأل يُعطى ، ومن يطلب يجد ، ومن يجوع ويعطش يُشبع . لارفع قلبك إلى الله وقل له : « املأني » . اصرخ إليه بشدة . لأنه ان يعطيك حجراً بدل الخبز ، أو حية بدل السمكة (مت ٧ : ٩ و ١٠) . آمن بأنك سوف تأخذ في نفس اللحظة التي تطلب فيها ، وعندئذ تعرف بركة الآلام التي دفعتك لله ، وبركة الشبع من الله ، وبركة طلب المزيد من الله ، وعندئذ تقفني مع السيدة العذراء : « أشبع الجياع خيرات » (لو ١ : ٥٣) . كما من شحم ودمس تُشبع نفسي ، وبشفتي الابتهاج يسبحك في » (مز ٦٣ : ٥) .

صلاة

إليك يا رب آتى بالأشواق التي خلقتها أنت في ، وأنت وحدك القادر على إشباعها . هب لي ذاتك ، لأنني خلقت لك ، وبدونك ان أجد راحة أو شبعاً . جسدي مأكّل حق ، ودمك مشرب حق .

له غذاء ، ولا يوجد جناح بدون هواء يناسبه ، ولا توجد نار بدون ماء يناسبها ، ولا يوجد صراخ من الطفل دون محبة الأم تناسبه ، ولا توجد نفس تجوع وتمطش إلى البر دون أن تجد شبعها في الله .

أتريد أن تعرف ما هو خبز الله الذي يقدر أن يشبع جوع قلب الإنسان الشديد ؟ يقول يسوع : « أنا هو خبز الحياة . من يُقبل إليّ فلا يجوع ، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً . أنا هو خبز الحياة النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت . واخبز الذي أنا أعطى هو جسدي الذي أؤذله من أجل حياة العالم . من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد » (يو ٦ : ٣٣ - ٥١ ، ٤ : ١٤) .

لقد صار للمسيح لنا برأ (١ كو ١ : ٣٠) ، وبتعبير آخر إن الإنسان الذي صار للمسيح ، واصطاح معه ، واتصل به صلة قوية ، يصطاح مع نفسه دون أن يشعر ، ومع الناس ، ومع الله . لا تنزعج بسبب المطالب التي لا حد لها المحيطة بك . بل اعمل شيئاً واحداً : اجعل الله هو الأول والأخير . ولما تكون معه كحجر الأساس ، فإن بناءك يصبح قوياً جداً لله وللناس .

إفحص قلبك وانظر إن كنت قد تعلمت الصفع عن الخطاة ،
والشفقة على الحزاني . وإلا فإنك لا يمكن أن تحسب نفسك باراً
حسب فكر الله .

الرحمة هي الامتياز الوحيد للمسيحية . كان معلمو
الأخلاقيات في القديم ينادون بأربع فضائل رئيسية هي : العدل في
المعاملات البشرية ، والحكمة في إدارة الأعمال ، والقوة في احتمال
المقاعب والأحزان ، والاعتدال أو ضبط النفس . لكنهم لم
يعرفوا شيئاً عن الرحمة ، التي ليست هي طبيعية للقلوب البشرية ،
لكنها صفة دخيلة أحضرها المسيح معه من السماء . لما كان المسيح
بين البشر كان يسكب الرحمة في شكلها : المغفرة والإغاثة ،
للمبغضين والمظلومين . وعندما عاد إلى الآب تسلمت الكنيسة
عمله المبارك ، واقتربت من العالم كالندى على المرعى الجافة ، لكي
تكون رحمة على المجتمع . لقد وجدت أقبح التصرفات شائعة
فأبطلتها ، وأقذر العادات فأوقفتها ، وللسليات والألعاب العالمية
فقاومتها ثم أبطلتها نهائياً . ثم مدت صولجانها الرحيم إلى
الأسرى والنساء المظلومات بأنواع الظلم المختلفة ، والأطفال

الذين يمشون في ظلمة (٦) زاعمة متدا زاعمة

تخرج وتعود

(٦) طوبى للرحماء لأنهم
يرحمون ، (مت ٥ : ٧)

لاحظ أين وضع مخلصنا هذا التطويب ، الذي قلبه رحمة .
لقد جاء بعد التشوق إلى البر ، الذي يميز البار ، لأن الرحمة هي
الزهرة البيضاء فوق ساق حياة البر . والواقع إن انعدام الرحمة
من طباعتنا وميولنا يظهر بأن برنا هو بر حسب الظاهر مثل بر
شاؤل الطرسوسى الذى كان قبل تجرده « من جهة البر الذى فى
الناموس بلا لوم » (فى ٣ : ٦) ، لكنه كان خالياً بالتمام من
الفضائل المسيحية التى تبين توفر القلب النقى حقاً . إن القديين
الخالى من الرحمة هو القدين الشكلى الخالى من القوة الداخلية .

لذلك وضع ربنا - بحكمة إلهية - الرحمة بعد البر ، أولاً لأن
المرء يجب أن يكون باراً قبل أن يكون رحيماً ، وثانياً لأنه يجب
أن يكون متوافقاً مع ينبوع الرحمة ، لكي تنقل منه صفة الرحمة
الإلهية إلى غيره بلا عائق ، وتبرهن بأنه ابن لكلِّ الرحمة .

السادسة هي المحبة المشغولة المقترنة بالإيمان النقي جداً بحيث لا يقدر الشر أن يقاومه .

السابعة هي المحبة الرزينة جداً بحيث تستطيع أن تهدي الغضب والمنازعات .

الثامنة هي المحبة التي يساء فهمها وتضطهد .

إذن فكل من هذه النواحي وجه يسطع عليه نور الشمس ، ومنه ينعكس على زاوية جديدة بجبال جديد . فدع محبة الله تسكن فيك بغنى ، وإذ أشع منك لتقضى على شرور العالم الكثيرة بيدي كل وجه من أوجه الخطية وبعكس صفة جديدة خاصة . قد يبدو ، يوماً ما ، أن الخطية قد سُمح بها لكي تُبرز جمالاً كاملاً للمحبة الإلهية ، كما تحل السحب محتويات النور فيظهر قوس قزح .

هنالك فرق بين الوداعة والرحمة . الوداعة وجه سلبي للمحبة ، والرحمة وجهها الإيجابي . عندما يدخل الوديع في اتحاد مع محبة الله التي تحتمل دواماً كل إساءات العالم ، وعندما يدرك أن قوة الشر سوف تلاشيها في الحال قوة الاحتمال مع الوداعة ، فإنه يتألم مع طول أناة الله . لكن الرحمة تذهب إلى حد أبعد . إنها تتخذ

الصفار . لقد عاشت لهذا الغرض الواحد وهو خدمة من أساءوا إليها واضطهدوها ، وكذلك من أجل من كانوا يداسون بالأقدام بسبب الطمع والشهوة والأحقاد ، غير مبالية بما كان يحمل بها من مقاعب . وهكذا بزغت الرحمة من الأرض استجابة للبر الذي تطلع من السماء .

١ - صفة الرحمة

واضح إنها وجه من وجوه المحبة ، لأن كلا من هذه القطوبيات احتفظت بناحية من نواحي محبة الله في نفس الإنسان . الأولى هي المحبة في تواضعها بفكرة عظيمة عن الإمكانات التي في مقناول بدها أنها تحسب نفسها بأنها لم تدرك .

الثانية هي محبة في دموع تبكي لعدم توفر المحبة في العالم .

الثالثة هي المحبة التي تحتمل الإساءة راجية أن تقضى عليها .

الرابعة هي المحبة التي دفعها رغبة ملتبهة للزبد من الشعب .

الخامسة ، التي نتحدث عنها الآن ، هي المحبة التي تأخذ بالنار من المساء .

كثرة رأفتك امح معاصي ... إليك وحدك أخطأت ... فقتلهم بج
عظام سحقتها . الغفران لا يكفي ، فالعظام المنسحقة تصرخ طالبة
الشفاء . الغفران لا يشمل بالضرورة التعويض عن الإساءة التي
ارتكبتها المسيء . قد يُغفر للسكران ، ومع ذلك يجب أن يتحمل
تألم إساءته لجسده وأعصابه . ومع ذلك فممنداً يُغفر لشخص
كهذا فإنه يستقيم أيضاً أن يلجأ لرحمة الله ويطلب شفاء تلك اليد
المرتمشة ، والأعضاء الأخرى التي تأثرت بالمسكرات ، ويبدل كل
جهده لكي يعود لجه كالحص صبي صغير . هكذا تفنن الرحمة على
الحكم .

ثانياً : الآلام : يحدثنا لوقا الإنجيلي (١٠ : ٣٧) عن رحمة
ذلك الغريب الجنس التي شهد لها حتى الكاتب مرغمًا . قال
الرب ، بعد أن استعرض الكاهن ، واللاوي ، والسامري :
« أي هؤلاء الثلاثة صار قريباً للذي وقع بين اللصوص ؟ »
فأجاب الكاتب الذي اضطر للاعتراف بالحق : « الذي صنع معه
الرحمة » .

في مثل هذه الأحوال التي تعجيب بنا في أية مدينة كبيرة يجب

بعض الاجراءات مع المسيء . في الرحمة تظهر محبتنا العطف نحو
المسيء ، وتمد له يداً رقيقة ، وتصب زيتاً وخرماً ، ونسعى بحجر
النار أن تذيب قلبه القاسي ، وتنقله إلى حالة أكثر سعادة . الرحمة
تبعث عن المسيء لكي تقوده إلى التوبة ، تلاحظ أول خطوة
نحو الرجوع ، وتقابله ، وترحب به بقبلات ، وتقضي على الإساءة
التي ارتكبتها ضد نفسه ، وتعيده إلى مركزه الأول .

وهناك أيضاً فرق بين الرحمة والصفح . المحبة هي مصدر
وأصل السك . النعمة هي محبة تخرج إلى خارج ، وتلتقي بمن
خسروا كل حقوقهم قبلها . الصفع هو محبة تؤكد للمسيء بأن كل
إساءات الماضي قد نسيت . الرحمة تحاول أن تلتطف وتخفف ظروف
الخطيء . عندما توجه إليك أية إساءة فسكر في آلامك أقل من
تفكيرك في حالة قلب المسيء ، في ظلامه وبؤسه . وعندما تدرك
هذا حاول أن تهوّن من شأن الإساءة . هذه هي الرحمة .

٢ - الظروف التي توظف الرحمة

أولاً : الخطيئة : في المزمور الحادي والخمسين نجد الصرخة
الحزينة للقلب المنكسر : « ارحمني يا الله حسب رحمك ، حسب

ثالثاً : الجهل والضعفات : قيل عن ربنا يسوع المسيح إنه كان رحيماً ، وقادراً أن يترفق بالجهال والضالين (عب ٢ : ١٧ ، ٥ : ٢) .

الرحيم لا ينتظر حتى يلجأ إليه الحزاني وذوو الحاجة . لكنه يبحث عنهم . هو لا ينتظر حتى يأتي إليه الضرر والقلق قبل أن يتصل بالسواء ليعوضه عن أخطائه . لكنه يسطع نوره إذ يمر في الشوارع القذرة ، ويتسلق السلالم المتكسرة ، ويتتبع آثار من أساء إليهم الزمان حيث يخبثون قرووحهم القميحة . يا للجمال الذي يسطع على وجه الرحماء عندما يرون وجه البؤساء والمساكين الذين يقأف منهم عظاما العالم ، ويدرون وجوههم عنهم ! . هذا هو العمل الذي يسر به الرحماء . هذا داخل في تكويينهم . لهم لا يحتاجون إلى من يحثهم ، فنلوبهم هي التي تحثهم . وهم إنما يتبعون تعاليم الخالص ومثاله . إن أيديهم ماهرة ورحيمة . وخطواتهم جميلة ونبيلة إذ يسرون في طرق الجبال الوعرة التي تدمى الأقدام . وإذا تقطع إلى أي واحد منهم تعقد أنك قد التقيت بواحد من أسرة الله .

أن نحصر على إظهار الرحمة الفنية . ليس هنالك أشر من منعها خوفاً مما تتطلبه من نفقة . خير لنا أن نخدعنا الناس أو يسيئوا إلينا الآن من أن نكف دوماً عن عمل الرحمة . يجب أن نحصر بطبيعة الحال أن لا نضر الناس بتشجيعهم على الكسل والنفس . كثيراً ما كانت رحمة جزيلة أن نمنع عن عمل الرحمة عن الذين يسيئون التصرف بها .

ويجب أيضاً أن نحصر على أن لا نكتفي بأول باعث لعمل الخير فنلقى بقطعة من النقود لمن يمد يده دون التدقيق في البحث عن المحتاجين الحقيقيين ، وعن أحسن الطرق لمساعدتهم . الرحمة قد ترفض العطاء المنبعث من عفو الساعة لكي يمكن أن نعطي مبالغ أوفر بصفة دائمة . وفي نفس الوقت لنحصر جداً على أن لا نوكل عملية العطاء لفعلة ماجورين . إن عمل الخير المنظم علامة على المسيحية الحقة . إن أردنا أن نكون الرحمة دائمة يجب أن تكون منبعثة من الاحتمكك شخصياً بالحزاني والمتألمين . يجب أن يمد عامل الرحمة يده لتضمد الجروح ، وتخفف الوبلات ، وتسهر على مساعدتهم بالطريقة المثلى التي تحتاجها ظروفهم .

وحده أن يعمل فينا ثمار الحياة المباركة . « وأما ثمر الروح فهو -
محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، ... ،
وداعة ، ... » (غل ٥ : ٢٢ و ٢٣) .

والرحيم هو وحده الذى يختبر كل مراحم الله . لاحظ بأن
الرب ردّ سبى أيوب بعد أن أشفق على أصحابه وصلى لأجلهم
(أى ٤٢ : ١٠) . قال الرسول : « قدر أيتم عاقبة الرب ، لأن الرب
كثير الرحمة ورؤوف » (يع ٥ : ١١) . إن خدمنا الآخرين أتى
الله إلى خدمتنا ، وحل ملائكته حولنا بخدماتهم الرقيقة عاملين
بنا ما قصدنا أن نعمله بالآخرين . « طوبى للذى ينظر إلى المسكين ،
في يوم الشر ينجيه الرب » (مز ٤١ : ١) .

وصف لنا الرب ، في أحد أمثاله الرائعة ، ذلك العبد الذى
أخذ بعنق زميله طالباً منه سداد الدين الذى عليه ، فغمر الرحمة
التي سبق أن عامله بها سيده . « أفأنا كان ينبغي أنك أنت أيضاً
ترحم العبد رفيقك ... ؟ فسلمه إلى العذبيين » (مت ١٨ : ٣٣ و ٣٤) .

هذا لا يعنى أن الله يسحب رحمة من النفس التي سبق أن
غفر لها ، لأن الله لا يندم . لكنه يعنى أن من لا يرحم لا يحق له

٣ - البركة

لقد لاحظنا أن القبطوييات الثلاثة الأولى تمس محيط
اختبار اتنا الأرضى ، حيث يجب أن تقابل العوز بعكسه . بعد
ذلك نجد أن السعادة فى الرابعة تتضمن فى تقديم الشبع المناسب .
أما الخامسة والسادسة والسابعة ، فإنها تخص القديسين الذين
تنحصر سعادتهم فى طلب الزيد من النعمة التي حصلوا عليها . وبعد
ذلك نرى أن الرحمة هى الجزء المناسب لمن يرحمون .

ألم تلاحظ قط أن الطريق لهذه الصفات للحياة السعيدة
يتطلب مجيء العزى ؟ . إن الأصحاح الخامس من إنجيل متى
يتطلب الأصحاحين الخامس عشر والسادس عشر من إنجيل
يوحنا . ووصايا الأربعين يوماً - التي توسطت بين قيامة المسيح
وحلول الروح القدس - تطلبت موهبة يوم الخمسين . وخاصيات
الصفات المسيحية يجب أن تحرق بمعمودية النار .

لقد أعطى ناموس المحبة الكامل على جبل القبطوييات هذا ،
كما أعطى ناموس البر وسط رعود جبل سيناء ، حتى إذا ما انعدم
الرجاء من أنفسنا أندفعنا للإيمان بالروح القدس الذى يستطيع

وأرجلهم كانوا يلبتطون تحت مائدتي . كما فعلت كذلك جازاني
الله « (قض ١ : ٧) .

ومن الناحية الأخرى ، إن اللطفاء والرقيقين في أحكامهم ،
الصابرين والطويلي الأناة ، المحبين للسلام ، السريعين في الصفح
عن المسيئين وتعويض القلف ، لن تعوزهم الرحمة ، لسكنهم في
ساعات الشدة والخطر تقوم أعمال الرحمة التي سبق أن عملوها
ونسوها وتشفع عنهم ، وتقوم الرحمة نفسها التي سبق أن أظهرها
للآخرين وتطيب خاطرهم وتبرد قلوبهم . « طوبى للرحماء لأنهم
يُرحمون » .

صلاة

يا رب ، ما أعظم صلاحك نحوي أنا الذي لا أستحق أقل
رحمة من مراحمك . هبني أن أكون رقيقاً مع زملائي في الخدمة ،
وصفوحاً لهم ، كما كنت معي رقيقاً وصفوحاً . لسكني تلين قلوبهم
بالتالي ، ويعملوا ناموس الرحمة وطول الأناة .

أن يطلب الرحمة . فإن كنت لا تغفر لا يُغفر لك ، في كل مرة
تردد الصلاة الربانية وتقول « واغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن أيضاً
للمذنبين إلينا » الأخرى بك أن تقول « ولا تغفر لي ذنوبي لأنني
لم أغفر لمن أذنب إلي » ، وإنني لا أتجاسر على أن أطلب منك أن
تفعل بي ما لم أفعله بأخي الخاطيء » .

ثق بأنك في الأيام القادمة سوف تحتاج إلى المغفرة ، ربما
أكثر مما تتفكر ، لأنك لا تعرف ماذا يكون حالك فيما بعد .
لكن رفضك عمل الرحمة سوف يبرز في ذلك الوقت ويرفع
الصوت عالياً ، ويقتلب على صوتك الذي تطلب به المغفرة .

ويحق للرحماء أن يتوقعوا الرحمة من إخوتهم . يجب
أن يتوقع عديم الرحمة أن يعامل بدم الرحمة . « بالكيل الذي
به تكيلون يكال لكم » . إن كان المرء قاسياً في انتقاداته ، حقوداً
ومؤذياً ، سريع الاستياء من الإساءة ، غير وقور وغير رحيم في
كلامه ، لا يلين ولا يرق في طلب التعويض عن الإساءة ، فسوف
يأتي اليوم الذي يطلب فيه الرحمة من إخوته فيقابل بالرفض
الغلظة . « وقال أدوني بازق : سبمون ملكاً مقطوعة أباهم أيديهم

الرب يسوع المسيح
 (٧) الرؤية المطوبة

طوبى لأقبياء القلب لأنهم
 يعاينون الله (مت ٥ : ٨)

بين كل التطويبات الثمانية لا يوجد ما يخلق فينا الإحساس
 بالعظمة أكثر من هذه . ولا يوجد مثلها ما يميز ديانة الرب يسوع
 المسيح . وفكرة نقاوة القلب تسمو عن كل كلمات هذا الحديث
 الرائم كسمو إحدى قمم جبال الألب المغطاة بالثلوج ، والتي لا
 يمكن الوصول إليها .

كان الرواقيون يعتقدون أن نقاوة السلوك والحياة هي علامة
 الرجولة الحقيقية . أما طهارة القلب فإنها تُعتبر صفة لا يمكن
 الوصول إليها . وهي ، وإن كانت الصفة المميزة لطبيعة المسيح ،
 لا يمكن أن تُعتبر صفة البشر الذين صوّروا بالإثم ، وبالخطية
 حبلت بهم أمهاتهم (مز ٥١ : ٥) ، والذين طُبعوا بطابع الشر
 والنجاسة . أن يعرف المرء الخطية بقصد كراهيتها فقط ، وأن
 يكبح جماح شهواته الثائرة كفرس هائج ، ويحفظ ثيابه بيضاء

نقية لا عيب فيها ، ولا يسمح لأي دنس بأن يدنس نفسه ، ولا
 يسمح لأية صورة دنسة أن تدنس عينيه لحظة واحدة ، ويجب كل
 الرجال والنساء محبة طاهرة غير أنانية - هذا مثل أعلى لم يصل
 إليه البشر قبل أن يجيء الرب يسوع المسيح بهذه الكلمة المقتدرة
 التي قالها للإبرص « أريد ، فاطهر » (مت ٨ : ٣) ، وقبل أن
 يجرى هذه المعجزة التي هي أولى معجزاته ، وبها أعطى علامة على
 مميزات حياته نحو خلاص من تسوغوا في الشهوات الدنسة ،
 وجعلهم جواهر في تاجه . هكذا نرى أن الورقة البيضاء النقية
 مصنوعة من الخرق ، والملابس النقي مستخرج من الفحم النباتي .

نقاوة القلب تؤكد نقاوة الحياة والسلوك .

هذه العلاقة طالما تفاضى الناس عنها . ويحرص الكثيرون
 على اتباع نظام دقيق نحو صحة الجسد ، مثل الطعام الصحي ،
 والتمارين الرياضية العتيقة ، ونظافة الجسد . وطالما رددوا القواعد
 القديمة لفلسفة الرواقيين ، وهي : لا تلمس ، لا تذق ، لا تمسك
 بيديك ، مع أنهم أدركوا - كما فعل الرسول في القديم - أن هذه
 القواعد لها صورة التقوى ، والقواضع ، والقسوة على الجسد ،

اتجاهات سليمة لكن بوفرة تزيد عن الحد .

هكذا قد تقيه محبتنا وتعلق بن يجب أن لا نغلق بهم ، أو قد تنهور مع من يجب أن لا ترتبط بهم أكثر من اللازم . لا شيء يؤذينا أكثر من الصداقة التي تحتكر كل تفكير وقوى من نحبهم ، مع استثناء الله . يجب أن نحب الله في الآخرين ، ونحب الآخرين في الله ، وذلك فقط عندما تسمح إرادة الله بذلك ، وبما يتفق مع مطالبه . كلما وجدت أن قلبك متجه بشدة نحو شخص آخر فاحرص على أن تبحث عن الاتجاه الذي يملك إليه التيار ، وقف عند المكان الذي يمكنك فيه مقاومة التيار .

ونوايا النفس يجب أن تكون بسيطة . يجب أن نتجه نحو إتمام إرادة الله ، مهما كلفنا هذا ، وأن نسير في طريق وصاياه ، مهما تطلب الأمر ، وأن نعيش في الحدود التي وضعها لنا مهما كانت الاغراءات التي تطلب منا أن نقصها . يجب أن تكون العين بسيطة . ويجب أن تعزم النفس أن تخضع لله خضوعاً كاملاً ، حتى وإن تطلب الأمر خسارة كل شيء . إن تقبنا النجاسة إلى أن نصل إلى مصادرها فكثيراً ما وجدناها ناشئة

لكنها لا تأثير لها نحو وقع الجسد .

نم ، إن سر الطهارة أعمق من هذا . إن بدأت مع الإنسان الخارجي قد تفتح أو تفضل في التأثير على الإنسان الداخلي . وإن بدأت مع الإنسان الداخلي حصلت على النتيجة المطلوبة سريعاً .

طهارة (نقاوة) القلب تعني ضبط الخيال . علاوة على منطقة الحواس يوجد عالم الخيال . والقلب لا يمكن حفظه نقياً إلا إذا بذلنا أقصى جهد لضبط الخيال . يجب أن لا نسمح له بأن ينقلنا إلى عالم الأحلام الشهوانية الدنسة ، أو ينقل إلى النفس أية صورة تدنسها .

طهارة (نقاوة) القلب تعني التدقيق في العناية بالمواظف . يجب أن نحب . وعدم توفر الحبة يعني عدم وجود الله في حياتنا . إن كنا لا نحب فهذا معناه خسارة سر السعادة الداخلية . إن كنا لا نحب فهذا معناه حرماننا من تدريب أنبل قدراتنا ومواهبنا . إن كنا لا نحب فإننا نسيء إلى الطبيعة التي منحها لنا الله . وعواظفنا تشبه الجزء اللوحي الرفيع من النبات الذي يساعده على التعلق بسنادة ، فإنها قد تمتد في اتجاهات خاطئة ، أو في

من عدم العزم على جمل طرق الله وإرادته هي الهدف الأول في الحياة ، بحيث لا نسمح لأى شيء أن يعارض معه ولو إلى لحظة .

واتجاه الإرادة أيضاً هام جداً . هذا هو مفتاح الموقف .

فالإرادة هي الحارس على النفس والضمير برجو ، ويلج في الرجاء ، مثل نبي الله أو كاهنه . والعواطف تقدم طلباتها العاطفية . والذاكرة تردد نتائج الاختبارات القديمة ، والتفكير يجلس على منصة القضاء ويعطى حكماً . أما الإرادة فإنها تقصرف ، ويحق لنا القول إنها تتحكم في مصير الحياة ، فهي تحمل في منطقتها المفاتيح الذى يفتح ولا أحد يغلاق ، ويغلاق ولا أحد يفتح . الإرادة تشبه العجلة الأمامية للدراجة التى تتحكم فى اتجاه الدراجة ، وتشبه مدير الدفة فى السفينة . هي العنصر الأساسى فى الحياة الداخلية .

آه ، أيها القارئ العزيز ، ليتنى وليتك مختار الطهارة (نقاوة القلب) فوق كل شيء ، ونفضلها على كل شيء ، مسعدين دواماً لتسليم كل شيء إن كان هذا هو نصيبنا ، دون أن نستكثر أية خسارة ، أو نخاف من شدة انحدار أى جبل . ألا تعتقد بأن الله يقدر أن يرتب كل أمورنا ، ويقم ما اعزمننا إتمامه ؟ هل

يعقل أنه يضع فينا رغبات عالية جداً لكي نشل فيها أو يهزأ بنا الناس ؟ يقيناً لأنه لم يكن باطلاً أن يلى علينا الروح القدس هذه الصلاة : « طهر أفكار قلوبنا بعمل روحك القدس ، لكي نخدمك خدمة كاملة ، ونستحق أن نعظم اسمك القدوس » .

وناموس طهارة (نقاء) القلب

معلن بكل وضوح

إن العطية العظمى التى للانجيل هي أن علم الناس بأن الطهارة ممكنة ، ممكنة لمن تألموا بسبب العادات الشريرة التى أدت بهم إلى الاحتياط الشنيع والنجاسة ، ممكنة لمن حاولوا باطلاً أن يحفظوا حياتهم الداخلية من أن تلوث بأدناس العالم . ليت الجميع يتبعون الوصايا الإلهية ، وعندئذ يجدون أن حقيقة نقاوة القلب ليست خيالاً أو أضغاث أحلام ، بل إن الرب يسوع مسعد أن يعمل فى الحياة الداخلية ما عمله لجد الأبرص . هو قادر أن يجعلنا نخبر سجية النفس التى تعرف الشر لكي نكرهه ، وتستقبح إيجاعات الشيطان التى تكتشف خبيثها الذى يقوارى تحت ثوب يظهره بأنه ملاك نور . أذكروا كلمات الرسول بولس التى فيها

لا يمكن أن تدفع إلى الخطية ، لكنها تبعث خوفاً مقدساً يجعله في خوف مستقر من الخطية .

الإيمان له قوة عجيبة يسلم بها إلى المسيح كل إيماءات الشرير . إذ يكون السهم الملتهب لا يزال في الهواء ، وقبل أن يصل إلى النفس يلتقطه الإيمان ويضعه في كنانته . وعندما تمتد اليد القذرة لتلقت زهرة الإيمان الجميلة ، يدخل الإيمان فجأة ، ويأتي برداء طهارة المسيح . وإذ إن الدرس الذي تعلمنا إياه الإيمان هو أن نقدم للمسيح نفسه كل تجربة ، وكل إيماء شرير ، وكل التفتيات التي تطاردنا ، التي تكون لا تزال في الهواء ، ولم تكن قد استقرت بعد في نفوسنا .

والأفضل من الكل إن الإيمان يخصص لنا طهارة المسيح . فطهارته هذه يجب أن تملأ النفس بجمالاتها الكاملة ونورها الكامل ، على شرط أن لا تكون هنالك أية نجاسة قابضة في أي ركن . ولعل الأفضل أن نقول إن الإيمان يخصص لنا المسيح على أساس أنه هو طهارته (طهارة الإيمان) بدلاً من القول إنه يخصص لنا طهارة المسيح .

ذكر مؤمنى كولوسى بأن الله أنقذهم من سلطان الظلمة ونقلهم إلى ملكوت النور والحبة ، ملكوت ابن محبته (كو ١ : ١٣) .

وما هو الشرط الأساسى لطهارة القلب هذه ؟ الإجابة على هذا تتضح من كلمات بطرس الرسول عندما تحدث عن عمل الله بواسطته بين الأمم . لقد قال : « الله ، العارف القلوب ، شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً ، ولم يميز بيننا وبينهم بشيء إذ طهر بالإيمان قلوبهم » (أع ١٥ : ٨ و ٩) .

وكيف يطهر الإيمان القلب ؟ هنالك طرق عديدة يقوم بها هذا العمل المبارك .

إنه يأخذ النفس إلى الصليب ، ويأمرها بأن تقطع إلى الخالص المصلوب ، ويسألها كيف تتجاسر - وهى ترى هذه الآلام المريرة التي تحملها لكي يبديد الخطية - بأن تفتح تلك الجروح ثانياً ، وتزيد آلام المصلوب ! .

إنه يأخذ النفس إلى دم المسيح الكريم الذى يطهر من كل خطية . ولا يوجد ما يطهر الحياة الداخلية مثل المغفرة المؤسسة على ذبيحة القادى . إن الراحة التي بها يطلب الخاطيء الغائب المغفرة

القلب هو الذى يستطيع الوقوف فى الدائرة الداخلية للملك الذى له العينان الأطهر من أن تنظرا الخاطية . والذى يرتدى الملابس غير الملوثة هو الذى يستطيع الدخول ليقف أمام عرش ملك الملوك . كان يرمز إلى هذه الحقيقة عملية تطهير الجسم والملابس التى كانت تقم فى خيمة الاجتماع . والأمر باق إلى الأبد أنه بدون القداسة لا يستطيع أحد أن يرى الرب (عب ١٢ : ١٤) . فإن أردت ، أنت وأنا ، أن نسكن فى ستر العلى ، ونبقى تحت ظل جناحى القدير ، إن أردنا أن نسكن فى بيت الرب كل أيام حياتنا ، يجب أن نكون أتقياء القلب .

إن أتقياء القلب يعاينون الله . يعاينونه شخصياً . يرونه فى الطبيعة ، فى كل زهرة ، وشجرة ، وشلال مياه . يرونه فى كل حادثة ، وفى أعمال عنايته . يرونه فى الظروف التى تكشف عن خطواته . يرونه فى المحبة البشرية ، فى الأصوات الرقيقة ، فى تدليل الطامل الصغير ، فى أمانة المرأة الوفية . يرونه فى الكتاب المقدس الذى يشتمل كالمليحة التى كانت تشتعل فى البرية ، لأنه هو هناك فى الكتاب . وأجل أشواقهم هو أن يروا وجهه بالبر ،

لقد اكتُشف أنه لا يوجد أى نوع من البكتريا فى الهواء يقدر أن يمنع نور الشمس . وبقيناً إنه لا يمكن أن يوجد أى نوع من النجاسة فى القلب الذى امتلأ بكليته من شخص المسيح ، وذلك بعمل نعمة الروح القدس . مستحيل أن توجد الظلمة مع النور فى نفس الوقت . فإذا ما دخل النور تلاشى الظلام . يجب أن يطهر الروح القدس النفس فى البوتقة . وإذا ما تمت عملية تطهير النار هذه فى القلب ، واستمرت فيه ، أصبحت الطهارة طبيعية له ، كما أن التنفس طبيعى للانسان ، والأغنى طبيعية للطفل الفرحان .

أما المكافأة فهى تفوق العقل

« يعاينون الله » . كان التطلع إلى وجه الملك أمراً يطمع فيه كل رعاياه ، كما نرى فى تطويب ملكة سبأ لرجال سليمان وعبيده الواقفين دائماً أمامه يسمعون حكمته (١ مل ١٠ : ٨) . وأبشالوم اعتبر أن عدم رؤيته لوجه أبيه الملك (داود) أعظم إهانة لحقت به (٢ صم ١٤ : ٣٢) .

لعل هذه هى الفكرة التى تنطوى عليها هذه القطوبة . فنقى

(٨)

السكين المنقية

• طوبى لصانعى السلام لأنهم
أبناء الله يدعون ، (مت ٥ : ٩)

هذا التطوب يبين حالة العالم ، كما تفعل فعلاً كل القلوبيات .
فن صوت مميزات أولاد الله يمكن أن ندرك مميزات العالم الذى
خرجوا منه .

نحن نعلم أننا من الله لأننا قد عرفنا شيئاً عن مسكنة الروح ،
وعن الحزن المقدس ، والوداعة ، والجوع والعطش ، والرحمة ،
والطهارة (النقاوة) . لكننا نعلم أيضاً أن العالم كله المحيط بنا
هو المضاد مباشرة لكل هذه الصفات الجميلة . نحن نقول بأن نكون
مساكين بالروح ، لكن العالم ملئ بالكبرياء . نحن نحزن
ونذرف الدموع السخينة ، على خطيتنا وخطايا العالم ، أما العالم
فيرتكب الخطية دون أن يبكي . نحن نعرف أن نحتمل الإهانة
بالصبر ، ولو إلى حد محدود . أما العالم فإنه يستاء من الإهانة

ويشبعوا إذا ما استيقظوا بشبهه (ز ١٧ : ١٥) .

جميل أن تقطر عين النفس ، لكي تستطعم أن ترى ما عجز
عن رؤيته الأنبياء والملوك هذه العين الروحية التى تحدث عنها
الرسول عندما قال : « وأما الروحى فيحكم فى كل شئ ، وهو
لا يُحكم فيه من أحد » (١ كو ٢ : ١٤) نحن نستطيع أن نرى
الله ، حتى هنا ، وحتى الآن . ويا لفرط السرور عندما يدشق هذا
الحجاب الكثيف ، الذى للجسد والضعف ، من فوق إلى أسفل ،
ويُسمح لنا بالوقوف أمام العرش ، لأن ثياب النفس قد غُسلت
فى دم الحمل وصارت بيضاء (رؤ ٧ : ١٤) .

صلاة

لم تسكن فيك خطية يا مخلصى . كنت حمل الله الذى بلا لوم
ولا عيب . طهرنى بنار طهارتك ، ودعنى أسير معك فى الثوب
الذى بلا عيب ولا دنس .

والبغضة ، والشك - هذه التي هي أساس حرمان العالم من السلام .
لذلك يدعونا الله ، نحن أبناء الصغار ، ويقول لنا : « يا أبنائي ،
إن أمامي عملاً عظيماً لإتمامه في العالم ، فكل المسكونة تتمتع
بالسلام ، ما عدا هذه الأرض الصغيرة ، والجو المحيط بها ، الذي
وضع الشيطان وجنوده كرسية فيه . ولن أستريح إلا إذا تغلب
سلامي على منازعات البشر وحروبهم ، وعلى مملكة الشيطان التي
توعز بهذه . لذلك تعالوا ، فارتسلتم لقتادوا بالسلام ، وعندئذ
تتحقق النبوة : « ما أجل على الجبال قدمي المبشر الخبر بالسلام »
(إش ٥٢ : ٧) .

« يا أبنائي وبناتي ، ساعدوني لأعيد للناس السلام ، كونوا
صانعي سلام وبهذا ترون سعادة الله » .
والآن نحن نلاحظ : (أولاً) الصفات اللازمة لصانعي
السلام . (ثانياً) الطريقة التي نتمم بها عمله . (ثالثاً) الأجر
العظيم المنتظر .

(١) صفات صانعي السلام

هذا القطوب يلي ذلك الذي بين فيه مخلصنا سعادة أتقياء

بكبرياء . نحن نحس بجوع وتعطش للبر الأبدى ، الذي بدونه لن
يشعر القلب بأى شبع ، أما الناس المحيطون بنا فإنهم يشبعون
إذا ما شبعت شهواتهم الجسدية . نحن نعرف محبة الله التي تسكب
في قلوبنا الرحمة إزاء إساءات الناس إلينا ، أما أهل العالم فإنهم
يمسكون أخامم بالعنق ويقولون له « أوفني مالي عليك »
(مت ١٨ : ٢٨) . نحن نعرف الطهارة ، ونهرب « من الفساد
الذي في العالم بالشهوة » (٢ بط ١ : ٤) ، بينما نرى أن العالم قد
تساط عليه الشرير .

إن الأهمية الكبيرة التي أظهرها مخلصنا نحو صانعي السلام
تبين أن العالم المحيط بنا مليء بهادمي السلام ، المحرومين من راحة
الله وسلامه . ليس انعدام روح الأخوة بين الناس راجع إلى
أنهم فقدوا روح الأبوة ؟ فحبة الأب الرقيقة لأولاده ، وإدراك
الأبناء لمحبة أبيهم ، هي الرابطة المينة لدائرة البيت ، ثم المسكونة
ليكن طالما كان الناس قد فقدوا الإحساس بحبة الله ، وبالتالي
فقدوا المحبة التي يجب أن تنبعث من قلوبهم نحو الله ، فإنهم قد
انغمسوا في خطايا العاصم ، والشهوات الجسدية ، والحسد ، والغيرة ،

الآخرين ، لصنع السلام ، ربما تكون هذه أقواها ، وهي « ماذا يعمل أبى السماوى ، وماذا يريد منى ، وماهى رغبة قلبه نحو العالم الممزق ؟ وأسمى ما يمكننى عمله هو تحقيق رغبته » .
إذن فنقاء القلب ، الذى به يستطيع الإنسان أن يعاين الله ، هو الشرط الأساسى لصنع السلام . وإن كنا فى كل يوم ، قبل أن نبدأ مهامنا اليومية ، أُنقياء القلب بحيث نستطيع أن نقف فى حضرة ملك الملوك ، لنقاً كد من الاتجاه الذى يريد أن يوجهنا إليه ، وندرك القصد العظيم الذى فى يده ، فإننا - كأبناء للآب السماوى ، وكإخوة للمسيح - نُسِر بما يسره ، ونقحمس لما وضع فى قلبه .
يجب أن نخرج كل يوم سائلين : « يا ملك السلام ، أى اتجاه تريد أن توجهنى إليه ؟ نحن - كإخوتك الصغار - نريد أن نتبع خطواتك التى تركتها لنا . هنالك بيوت تريد أن تدخلها لتريحها من عوامل القلق وعدم الراحة . سوف نتبعك وندخلها . حيثما وجدت قلوب خائفة ومرتمدة ، وتريد أن تقول لسكل قلب : « اسكت ، ابكم » (مر ٤ : ٣٩) فأرسلنى إليها . حيثما وجدت خدمات للشفاء ومنح الراحة للبشر فأرسلنى إليها » .

القلب : « طوبى لأُنقياء القلب ، لأنهم يعاينون الله » .
يعلنا النظام الذى دُوِّنت به هذه القطوبيات دروساً كثيرة جداً فكل تطويب يودى للآخر .

(أولاً) واضح أن نقاء القلب يجب أن يسبق صنع السلام .
ولأن أُنقياء القلب هم وحدهم الذين يقدرون أن يعاينوا الله ، ولأننا إذ نكون أُنقياء القلب نقدر أن نعاين الله وهو خارج ليصنع السلام ، فإننا نقدر أن نتبع مثاله . وكما قال الرب يسوع المسيح عن نفسه : « لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل » ، فكل صلاح نفعه يكون منعكساً علينا مما نرى الله الآب يعمل (يو ٥ : ١٩) .

وعندما نزل الرب من عرشه فى السماء ، وجاء إلى عالمنا ، وتهلت الملائكة قائلين « المجد لله فى الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة » ، فإنه وضع فى قلبه أن يعيد السلام إلى هذا العالم الذى مزقه الخطية ، وهكذا يحقق رغبة الآب نحو سلام الذين على الأرض . وعندما مات المسيح على الصليب كان هدفه أن يحقق رغبة قلب الآب نحو إيجاد السلام فى العالم .

إذن فن بين الحجاج الكثيرة التى بها نتحرك ، ونحرك

وأنه عندما سفك دم حمل الله على الصليب ، فكان معنى هذا
كان حياة ابن الله قد سُكبت . لقد كان هو ذبيحة الخطية ، وصار
هو آدم الأخير الذى يعطى البشر حياة . هذه أفكار عميقة .

والذى نريد أن نؤكدده هو أن الله عندما صنع السلام كان
ذلك مؤسساً على البر ، وقد تمت مطالب البر كان الثمن الذى
مُدفع هو الآلام المريرة ، التى كان يرمز إليها الدم المسفوك . كان
ملكى صادق أولاً هو ملك البر قبل أن يكون هو كاهن
السلام . إن كان البر يعنى إيفاء مطالب الفاموس الذى كُسر ،
تلك المطالب التى عاجز الإنسان عن أن يوفىها ، فإن ثمن وضع
أساسات البر ، الذى يُبنى عليه هيكل السلام ، كان يجب أن لا
يقبل عن سفك الدم . ونحن إن أردنا أن نصنع السلام مع الناس
فيجب أن تكون التضحية على أنفسنا ثقيلة جداً .

إن كانت هنالك خصومة بيننا وبين الآخرين ، كما كانت
هنالك خصومة بيننا وبين الله ، فينتج عملياً أن نزيل معطلات
السلام التى بيننا وبينهم ، ولو أدى ذلك إلى آلام الدموع .
قد يتطلب منا الأمر أن نضحى بشيء لصنع السلام ولاستدامته .

إذا نظرنا لأنفسنا فقط فإنه لا رجاء لأى واحد فينا - بما
فينا من ضعف ومصادر ضعيفة للتوبة - لإتمام هذا العمل العظيم
وهو صنع السلام فى العالم . لكن قوتنا تقضعف جداً عندما
ننظر إلى الله ، ونعيا فى شركة كاملة مع المسيح ونفتح كل كيائنا
لمعمل الروح القدس ، حمامة السلام ، وعندئذ نستطيع أن نتعاون
مع الله ، ونتمم على الأرض ما يقصد أن يعملها فيها . « طوبى
لأتقياء القلب ، لأنهم يعاينون الله » . « طوبى لصانعى السلام
لأنهم أبناء الله يدعون » . أنظر كيف ترتبط كل من هاتين
الوصيتين إحداهما بالأخرى .

(ثانهاً) يجب أن نكون مستعدين للتضحية . لقد صنع
الله السلام بالدم . هذه الفكرة التى قدمها إلينا العهد الجديد
عجيبة جداً . عندما صار كل عالمنا ، وكل الجنس البشرى ، فى
عداوة مع الله كان عجباً جداً أنه بذل كل ما يمكن للقضاء على
سبب العداوة ، رغم ما كلفه ذلك من تضحية كبيرة . وكان
الثمن الذى دفعه هو الدم . لا يمكن للمقل أن يدرك معنى إتمام
السلام بدم الصليب . نحن نعلم أن الدم هو النفس أو الحياة ،

إلى القلب . وكلما دخلت فلنعاملها كما عامل نحميا الصوريين ،
وأبقام خارج أبواب أورشليم لأنه كان السبت (نح ١٣ : ١٦ - ١٩) .

لا تدع مطالب العالم تغلب عليك فتنقض يوم الرب . عش
في سلام . الأفضل لك أن تتحمل الظلم من أن تسمح بتهنؤ
السلام بسببك . « اتبعوا السلام مع الجميع » (عب ٢ : ١٤) .
احمل في قلبك دواما الروح الوديع الهادي ، وليكن لك الوجه
الباش المبتسم . لا تسمح بأن تكون في صوتك لهجة نائرة . لتكن
كل تحركاتك متوافقة مع سلام الله الكامل . سر في العالم
بخطوات معتددة هادئة ، ناشرا جو سلام الله . وعندما يحين وقت
الليل عد إلى حضن أبيك السماوي ، بعد أن تكون قد أتممت
كل شيء ، بقصر فأتك ، ونظراتك ، وكلماتك ، وسلوكك ، لكي
تبعث السلام لهذا العالم المضطرب . عد إلى إله السلام ، واستودع
نفسك المتعبة لمريح المقعبين والثقيل الأحمال ، وحدته عن انزعاجك
الشخصي وانزعاج الآخرين . إحزن رأسك على صدره ، واسترح
هناك ، فنعطى السلام من إله السلام ، ويمينك على أن تقوم في

قد يتطلب منا أن نضحى بكبريائنا ، وسمعتنا ، والاحتفاظ بحقوقنا
الزعومة ، وراحتنا ، وذلك إن أردنا إرضاء المسيء وإعادة
العلاقات التي قطعت . كان سفراء السلام في كل العالم يضحون
حتى بدمائهم في سعيهم لصنع السلام ، بما يتفق مع مطالب البر .
وفي أغلب الحالات أمكنهم أن يوفوا هذه المطالب في سبيل
صنع السلام .

(ثالثا) يجب أن نحمل دواما في داخلنا سلام الله . الله هو
مركز السلام ، وهو « إله السلام » ، ومن طبيعته انتشرت
ولا زالت تنتشر دوائر السلام في كل العالم . لقد كانت العداوة
قائمة بيننا وبينه ، ولكنه جذبنا إليه ، وكأبناء له امتلأنا من سلامه .
« وليلك في قلوبكم سلام الله » (كو ٣ : ١٥) . لن نستطيع أن
نصنع السلام في العالم إلا إذا تعاضنا نحن أنفسنا سر السلام . فلندع
الرب يسوع المسيح ينطق بكلمته لنا « سلام لكم » . لندعه يرينا
يديه وجنبه . لندعه ينفخ في وجوهنا روح السلام ويقول « اقبلوا
الروح القدس » . لندع هذا السلام يقف حارسا على أبواب قلوبنا .
لنحرص على أن لا ندع الفلق والمهوم والانزعاجات تنسرب

أو الالتجاء إلى الحاكم فهو عندما يستخدم الظالم طريقة عنيفة ضد
المساكين والذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم . وفي الحالات
الأخرى ، لما يكون هنالك سوء تفاهم ، فاذهب إلى خصمك ،
وحدثه عن خطئه بينك وبينه وحدكما ، وحاول إزالة سوء التفاهم
بأية تضحية .

(ثانياً) يجب علينا ، بدون انقطاع ، أن نصب زيتاً على
المياه الفائرة . لتجنب إثارة النزاع دون أن نعطي المجال للشكوك ،
بل لنخفف المشاجرات ونفمر كل ما يثير الخصام تفسيراً حسناً .
كثيراً ما نجح صانع السلام في تهدئة الأعصاب الثائرة بأن ينظر
نظرة جميلة لكل ما يعكر صفو النفوس . وكثيراً ما ننجح في
التوسط بين طرفين متنازعين عندما يكون لنا القلب النقي ، والعين
البيضة ، والحكم غير المتحيز .

(ثالثاً) يجب أن نسعى لتقديم المشورات التي تؤدي إلى
السلام . عندما نلجأ إلى الوسائل العالمية فكثيراً ما كان تقدم
السلام بين البشر بطيئاً .

لقد مر أكثر من ألف وتسعمائة سنة منذ أنشدت الملائكة

الغد بمهمة مماثلة . وبهذا تظلل على أحزان ومقاعب هذه الأرض
بسلام السماء .

(٢) الطريقة التي بها تتم عمله

هنالك ثلاث أو أربع طرق لإتمام هذه الخدمة المباركة :

(أولاً) إزاء خصومنا ، وأعدائنا الذين يسعون لإبذائنا .
لا تفقد سلامك معهم ، بل اتخذ كل ما يمكن عمله ، بما يتفق مع
مطالب العدل والكرامة ، حتى ولو كان في ذلك تضحية كبيرة ،
وذلك لإزالة أسباب الخصومة . أزل من الطريق كل معطلات
السلام على قدر ما تستطيع . خير لك أن تتحمل الإساءة من أن
تسمح لسوء التفاهم بأن يهدم العلاقات بينك وبين أخيك . كان
الرسول بولس واضحاً جداً في تحذيره من التجاء الإخوة إلى
الحاكم ، وشدد على تجنب الحاكم حتى ولو أدى ذلك إلى
ظلم المؤمنين .

أما بخصوص علاقاتنا مع الآخرين فقد يكون خيراً لنا - بعد
تفكير دقيق - أن نتحمل الظلم من أن ننتقم لأنفسنا . أما السبب
الوحيد الذي يبررنا في نقض أو اصر السلام باستخدام القوة البدنية

منحرفاً عن جميع الناس . فالشر يفضح نفسه . فالدم الفاسد في
الداخل يبعث الدمامل والقروح في الخارج . والقلب المتعب يبعث
التعب في كل مكان . ورسالتنا الواحدة للانسان هي : الله في سلام
معك ، فكن أنت في سلام معه . هو مصطلح معك ، فاصطلح
أنت معه . والبنوية تخلق الأخوة .

كل جهد في هذا السبيل لا يضيع هباء ، وكل كلمة لا تسقط
على الأرض ، كل مسمى لصنع السلام لا يترك صانع السلام
فاشلاً . إما أن تشبع وتستريح إذ ترى عملك قد نجح أو يرتد
إليك سلام الله كما رجعت حمامة نوح إليه . « يرجع سلامكم
إليكم » (مت ١٠ : ١٣) .

(٣) أجزنا

« أبناء الله تُدعون » . والتشديد هنا على كلمة « تُدعون » .
نحن في البداية أبناء ، وإلا فلا تقدر الدخول إلى الآب إن لم
نكن هكذا . لكننا نُدعى أبناء الله . كما قيل عن المسيح إنه
« تعين ابن الله بقوة بالقيامة من الأموات » (رو ١ : ٤) .
لقد كان ابناً من قبل ، لكنه أعلن أنه ابن الله في ذلك اليوم .

أنشودة السلام وقت ولادة المسيح ، ومع ذلك لا يزال السلام
يبدو كأنه قد هجر العالم . تطلع إلى الدول - الكبيرة والصغيرة -
وإلى حركة التسليح فيها ، تجد أنه لا أثر للسلام بينها . إقرأ
الصحف اليومية تجد ما يفزعك . ألق نظرة على المحاكم تجد
العجب . أنظر إلى الكنائس التي تحمل اسم المسيح ، وتأمل في
الخصومات والحسد والأحقاد في كل مكان . هنالك خدمة شاقة
لصانعي السلام للقيام بها في كل مكان ، وكثيراً ما ملأ اليأس
قلوبهم . وإن حكمتنا بحسب مقاييسنا وجدنا أنه لا يزال
الوقت طويلاً لكي يهل علينا الفجر بنوره . الأسلحة الهدامة
تهدد ، ومشورات السلام بطيئة جداً . لكن لا بد أن يشرق
الفجر . وفي نفس الوقت إن كل مجهودات السلام العالمية ، وكل
الجهود التي تُبذل لكي تُططم السيوف سكتها والرماح مناجل ،
تبشر بالخير ، سيما عندما نلجأ نحن إلى ملك السلام .

(رابعاً) يجب أن نحث الناس لكي يصطلحوا مع الله .
عندما يكون القلب مستقيماً مع الله فإنه يكون مستقيماً من جميع
النواحي ومع جميع الناس . وعندما يكون منحرفاً عن الله يكون

ربنا مع كل قدسيه إلى عشاء عرسه . تخيل العدد الوفير ممن
يتبعونه إذ يمرون . أولاً المساكين بالروح ، ثم الودعاء ،
والحزاني ، والجياع والعطاش إلى البر . هنا الرحاء ، وهناك أقياء
القلب ، وصانعو السلام . وإذا يجتاز هؤلاء الأخيرون لاحظ
كيف يصرخ المفرجون المباركون : « هؤلاء هم بنو الله ، واسم
أبيهم مكتوب على جباههم » (رؤ ١٤ : ١) .

ليس شيء في المسكونة كلها يشبه التمثل بالله مثل السمي لصنع
السلام ، ليس بالتظاهر ، بل بالتضاء على العوامل التي تبعث
المنازعات والخصومات في العالم .

صلاة

يا إله السلام ، هبني سلامك الذي لا يُعبّر عنه ، لكي
أتمنى في السلام بقوة الروح القدس .

هكذا نحن عندما نخرج بين الناس حاملين رسالة السلام في قلوبنا ،
ونسكبها للناس ، فإنهم يقولون : هذا الإنسان ابن الله . الناس
لا يصدقون كلام هذا الإنسان ، ولا يعترفون بمهنة ذلك الإنسان ،
لكنهم يصدقون سلوك الإنسان الهادي الذي يحاول أن يصنع
السلام ويديم السلام . إنه من اليسير الاعتراف بهذه الفضيلة نحو
صنع السلام لأن العالم لا يعرف إلا القليل عن السلام . فهو يضيء
وسط جو مشعوب بالسحب القائمة . عندما تحدث المسيح عن سلامه
قال عنه . « ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا » (يو ١٤ : ٢٧) .

لا يوجد سلام بعيداً عن المسيح . وحالما يملأ السلام قلب
المؤمن ، وينير حياته ، ويضيء في كل حركاته ، فهذا يصبح
أقوى دليل على أن المؤمنين يملكون ما لا يستطيع العالم أن يعطيه
أو حتى يقلده . أنهم يُبدعون أبناء الله .

سوف يأتي الوقت ، ولا يمكن أن يكون بعيداً ، حين
يجتمع كل بنى الله وبناته في بيت الآب ، ويطأون ديار قصره .
فلنحاول بأن نقصو أن « القليل » الذي قال عنه « بعد قليل
تروني » (يو ١٦ : ١٦ - ١٩) سوف ينتهي سريعاً ، ويأتي

شهداء وأنبيا

طوبى للطوردين من أجل البر لأن
لهم ملكوت السموات، (مت ٥: ١٠-١٢)

هذه نهاية التطويبات الثمانية ، لسكننا لا ندري لماذا لم
يكتف ربنا بالتطويبات السبعة ، فإن الثامنة تختلف اختلافاً كلياً
عما سبقها . السابقة تفصل بصفات المرء ، وأما هذه فبجالاته .
السابقة تفصل بصفة النفس الداخلية ، وهذه تفصل بعلاقتها
الخارجية . التطويبات السابقة - على قدر ما نفهم - يمكن أن تنمو
في الروح بمعزل عن العالم المحيط بها ، أما هذه فإنها تبين بأن
فكرة الرب عن كنيسة إننا يجب أن تكون بصفة مستمرة
وسط العالم . ليست هي من العالم ، بل فيه ، ولذلك فهي دواماً
تعظم بشره ، وفي عداً مستمر مع هذا الشر .

هذه التطويبات تتحدث عن حياة مخلصنا الشخصية ، وهي في
الواقع رواية حياته في قلب المؤمن ، خطوة بخطوة . لأننا نعلم أن
ربنا يسوع المسيح كان مسكيناً بالروح ، أخلى نفسه ، حزن وبكى

من أجل خطية الإنسان ، كان وديماً ، عطش وجاع ، كان
رحيماً ونقى القلب ، وأنه جاء ليضع سلاماً . كل هذه الصفات
في حياة مخلصنا أنت به إلى الصليب ، جعلته يصطدم مع شر
العالم ، وأنت به إلى الجلجثة . وهكذا تعطينا التطويبات فكرة
عن حياة مخلصنا منذ أخلى نفسه عند التجسد إلى أن وضع حياته
من أجل البشر .

وهي أيضاً تنطبق على كل واحد منا . فنحن نبدأ بأن نكون
مساكين بالروح ، ومنكسري القلب ، وودعاء . نحن نتقدم ،
خطوة بخطوة ، في ازدياد معرفة الله ، ومعرفة حقه . وإذا فعل
هذا نحن نزداد اقتراباً من قمة الصليب . وبقدر ما نتمثل بالمسيح
في هذه الصفات الحلوة فإننا نتمثل به أيضاً في آلامنا وأحزاننا
حتى الموت .

كيف تنبأ المسيح بوضوح عن تأثير هذه الصفات على العالم !
وكأنه قد قال : « من المستحيل أن تكونوا هكذا دون أن
يلحقكم قدر كبير جداً من بغضة الناس لكم ، لكنكم وسط هذا
كله يمكنكم أن تحفظوا بروح الوداعة والهدوء والراحة التي

ولنتأمل الآن : (١) لماذا نحن نضطهد . (٢) كيفية الاضطهاد . (٣) السعادة الممكنة وسط كل هذه الاضطهادات .

(١) أسباب الاضطهاد

هذه الأسباب مزدوجة . (أولاً) فنحن نضطهد « من أجل البر ، و (ثانياً) المسيح يقول « ويضطهدونكم من أجلى » . واضح أن البشر يجب أن يشعروا بأنه يدافع عن البر ، وأنه هو عبد الله البار (إيش ٥٣ : ١١) ، وأن البر ليس وهماً أو خيالاً ، فالمسيح جسّمه . هذا امتياز عظيم ، ويهون علينا أن نتألم من أجله . جميل جداً أن نتألم من أجل غرض معين : من أجل العدل ، أو الحق ، أو البر . والأفضل جداً أن نتألم من أجل المسيح . يجب أن نؤمن بأن البر هو المسيح ، وأن المؤمنين عندما يتألمون من أجل البر فإنهم في الواقع يتألمون من أجل المسيح الذى هو رئيس البر وملك الحق . وحيثما وجد أى حق في العالم يتألم الناس من أجله فإنهم إنما يتألمون من أجل المسيح . وكم هو عجيب أن الرب يسوع في بداية خدمته ، إذ وقف على جبل القطويات ، وسط جماعة من القرويين ، بيّن أنه هو البر ، إذ قال : « من أجلى » .

وعدتكم بها . لا يمكن أنكم تخسرون البركات التى سبق أن وعدت بها الرحاء والودعاء وأتقياء القلب عندما تلحقكم الأخطار ، أو حتى عندما تُصلبون ، فالحياة المباركة لا تتوقف مطلقاً على الظروف ، فإنها تتأصل في النفس عندما يكون كل شيء في الخارج مضطرباً » .

قال أحد الشهداء عندما كانوا يقيدون قدميه : « ينجل إلى أنهم ينثرون الورود أمامى » . وقال شهيد آخر في ساعة احتضاره : « فرحت بالثلاثين لى إلى بيت الرب نذهب » . وقيل عن آخره أنه عندما جس الطبيب نبضه في ساعة الاحتضار لم يحس بأى اضطراب ، بل كان النبض عادياً كأنه في ملء الصحة . وطالما كانت هذه القطويات ، وما اقترنت بها من صفات ، قد جعلت المسيح وكل أتباعه يضطهدون مع العالم فقد كان جميلاً أن يقول : « إنكم في وسط كل هذه سمعاء فافرحوا وتهللوا » (لو ٦ : ٢٣) . وكلما ازددنا تفكيراً في هذا ازددنا تأكيداً بأن كل الذين ماتوا من أجل الإيمان أعطيت لهم نعمة خاصة ، هى التى عظمت انتصارهم ، وأنها سوف تُعطي لمن يُحسبون مستحقين من البشر أن يتألموا من أجل المسيح .

دواماً يلقبونه « البار » ، وحسده الأشرار بسبب محبة مواطنيه له . هكذا يحسد الأشرار دواماً كل من يحبون المسيح .

(ثالثاً) وروح المسيح الذى فى أى واحد منا يدفعنا باستمرار لتعنيف الأشرار . والرب يسوع المسيح لم يناد قط بأن يسير بنوه فى العالم بعيون مغمضة ، وروح عدم المبالاة ، أو يتخذوا موقفاً سلبيًا . لكنه يتوقع أن تقف كنيسة موقفاً إيجابياً ، حتى وإن كان تأثيرها لاذعاً . لكن عندما تعرض السفينة للخطر ، عندما تحدث أخطار جسيمة ، فإننا بطبيعة الحال نشور للدفاع عن الذين تلحقهم الخسائر . إن النور الفاحص الذى يكشف خبث الضمير السقيم ، والشعور المسقيد بأن المؤمن يتجلى بصفات لا يمكن أن يولدها الأشرار ، تلك التى تنال الإعجاب الذى لا يمكنهم الحصول عليه ، والخوف من أن تنهار المراكز العالمية والثروات العالمية بسبب تقدم وازدهار المؤمنين محبي المسيح - هذه كلها تجعل الناس يبغضوننا .

ومع ذلك إن أصل البغضة يرجع إلى ما هو أعمق من كل هذا . فيبدو أن هنالك بغضة خبيثة فى الشر ضد الخير والصلاح ، الأمر الذى لا يمكن نسبته لأى من هذا الأسباب ، والذى يجب

ولماذا يبغضنا العالم ويضطهدنا من أجل المسيح ؟ لثلاثة أسباب :

(أولاً) لأنه بقدر ما تزداد صلقتنا بالمسيح تزداد دينونتنا للعالم ، فالأشرار لا يبغضون شيئاً أكثر من أن يسطم نور الطهارة الكاملة على أعمال قلوبهم وحياتهم . إن موقف الأشرار إزاء المسيح كموقف العين الرمضاء أمام الشمس وقت الظهر . ولهذا فإننا بقدر ما نحيا فى قوة يسوع المسيح ، وبقدر ما يكون تأثير أخلاقنا على الآخرين قوياً ، بقدر ذلك يتألمون من شدة أشعة نورنا ، وينفرون منه ، لأنهم يتألمون منه ، فيامتفتون بطبيعة الحال إلى من سبب لهم تلك الآلام .

(ثانياً) وبقدر ما تزداد صلقتنا بالمسيح بقدر ما نسيء إلى كبرياء الرجال والنساء المحيطين بنا ، الذين يشتهون أن يوجه إليهم إعجاب الناس بنا ، المنبعث من التقوى الحقيقية ، والذى لا يقدر أن يحصلوا عليه لعدم استقطاعهم دفع الثمن الذى يتطلبه . وعندئذ تبدأ فى الحال الغيرة والحسد والكبرياء أن تعمل عملها . أذكر كيف أن أرسطيدس (١) كان مكروهاً لأن الناس كانوا

(١) كاتب يونانى اشتهر فى القرن الثانى قبل الميلاد

مذهب الأصحاب (كوبكرز^(١)) وفي الغرامة المالية التي مُدِّرت بمليون جنيه التي أزمهم بدفعها الملك شارل الثاني ، من أجل تمسكهم بمذاهبهم . وتأمل في الأعداد التي لا تُحصى ممن اضطهدوا من أجل المسيح .

أما إن قالوا علينا كل كلمة شريرة من أجل المسيح كاذبين فلست أظن أن أى واحد منا يستاء من هذا . نحن نعرف أنفسنا جيداً جداً . وكلما ازددنا اتصالاً بالمسيح ازدادت اتهامات الناس لنا . سوف يطعنون في البواعث التي تدفعنا للخير ، ويصفون تصرفاتنا بغير حقيقتها ، ويخلقون حولنا روايات فاسدة . وكلما ازددنا اقتراباً من المسيح ازدادت اتهاماتهم لنا ، وإن كانوا قد قالوا عن المسيح بأنه بلازبول فليس غريباً إن أطلقوا علينا نفس اللقب . وأعتقد أننا يجب أن نبالي مطلقاً بهذه الاتهامات . إن الأوقات التي يجب أن نبالي فيها بالدفاع عن أخلاقنا وصفاتنا هي عندما يكون الطعن فيها مضرراً لقضية المسيح . أما فيما يختص

(١) شيعة دينية تعرف باسم جمعية الأصدقاء أسسها جورج فوكس سنة ١٦٥٠ م ، وتتميز اجتماعاتها عادة بفترات صمت طويلة .

أن ينسب للعرب الشنيعة الأزلية الأبدية والبغضة الكائنتين بين الشيطان وكل أعوانه وبين الرب يسوع المسيح وكل جنود السماء . هنالك حرب عنيفة في المسكونة ، ويران مشتعلة لا تراها عيوننا ، ويجب أن نقاكد بأن علاماتها سوف تظهر حالما نرى على الأرض شيئاً من طهارة وجمال يسوع المسيح ربنا . هذه هي أسباب الاضطهاد .

(٢) الأشكال التي يتخذها هذا الاضطهاد

لقد نلصها ربنا في ثلاثة طرق : (أولاً) في الكلام . (ثانياً) في التصرفات . (ثالثاً) في الاتهام بالشر . فبالكلام إذا عبرنا الناس ، والتصرفات إذا اضطهدونا ، وفي الاتهام بالشر إذا «قالوا علينا كل كلمة شريرة كاذبين من أجله» . ولا داعي لإطالة الحديث في هذه الفاحية ، فنحن نعرف بعضاً من خبث الحية . وكلنا تألمنا كثيراً أو قليلاً ، من الكلمات القاسية . ونحن نعرف معنى الشائعات والاتهامات التي تنقل من فم إلى فم ، ونحن نقابلها بعدم المبالاة . وما أكثر الذين تألموا ، والذين لا يزالون يعانون ، بسبب الكلام وبسبب التصرفات . تأمل في الثمانمائة شخص من

بالروح ، لأن لهم ملكوت السموات . وكأننا قد رجعنا إلى حيث ابتدأنا . لكن ليس هذا هو الحال . صحيح إن المساكين بالروح يُعطون الملكوت ، والذين يُطردون من أجل البر يُعطون الملكوت . لكن يجب أن نذكر أنه كما أن درجات السلم الحزوني تُرجع إلى حيث ابتدأت ، لكن على مستوى أعلى ، هكذا نحن نرجع إلى الملكوت لكن على مستوى أعلى مما كنا عليه ونحن مساكين بالروح . وربما يتكرر هذا الرجوع دواماً ، لكن على مستوى أعلى في كل مرة .

قد نبدأ اليوم بمسكنة الروح ، ونصعد على السلم الحزوني نحو هذه التطوية الأخيرة ، وإذا نبدأ ثانية من هذه نصعد إلى سلسلة درجات أعلى . سوف لا نكف عن الحزن ، لكننا سوف نحزن من أجل أسباب أسمى . سوف لا نكف عن تعلم درس الوداعة ، لكنها سوف تكون وداعة أعمق . سوف نطلب الطهارة (نقاوة القلب) دواماً ، لكن سوف نكون لنا فكرة أعمق عن الطهارة . وكلما ازداد إدراكنا لهذه الأمور اشهدنا الاضطهاد علينا . وكلما عدنا إلى حيث بدأنا ازداد ارتفاعاً ذلك

بنا شخصياً فيجب أن نكون مستعدين لأي طعن ، راضين بأن نحسب « كأقذار العالم ووسخ كل شيء » (١ كو ٤ : ١٣) .

وعندما تنتشر هذه الشائعات والاتهامات فعلياً أن نلجأ في الحال للخالصنا ، ونخبره بأننا مستعدون أن نتألم معه ومن أجله . ونسأله أن يدافع عنا ، وأن يُظهر حقنا إن أراد ، وإلا فليعطنا نعمة الصبر واحتمال الآلام . قد نتألم جداً إذا ما قيل عنا أقل شيء ، وقد نفضب ونثور إن أساء الناس فهمنا أو أساءوا إيماننا . وقد نتحدث للكتابة في الصحف أو للاخوة للدفاع عن أنفسنا . هذا خطأ شنيع . فإننا يجب أن نكتفي بتك الاتهامات بين يدي الله ، ونطلب منه أن يُظهر حقنا ، وفي نفس الوقت نُؤدى عملنا بهدوء يوماً ، على أساس أنه مطلع علينا ، ونصلى من أجل المسيئين إيانا . هذه هي الروح المسيحية الحقمة .

(٣) الطوبى

ولماذا نطوب ، وكيف تأتي السعادة ؟ لقد قال لنا الرب إن الذين يُطردون من أجل البر يُعطى لهم ملكوت السموات . وهذا هو نفس الوعد الذي بدأت به التطويات : « طوبى للمساكين

الأنبياء . فقد قال : « فإنهم هكذا طردوا الأنبياء » . هذا تفكير عميق ، لكنه صادق وأمين . فالنبي وقف بين أقرانه يشهد للابدي غير المنظور ، والشهيد يفعل نفس الشيء . إن أكوام الخطب التي أحرق فوقها شهداء المسيح رفعت أنفُس البشر مثلما فعلت تماماً كلمات الأنبياء ، ورفعت نفوس الأجيال التالية . الأنبياء شهدوا للابدي غير المنظور بكلماتهم ، والشهداء يفعلون نفس الشيء بالأمم . إن كنا نرتضى بأن نقالم من أجل المسيح يوماً فيوماً ، في المصنع أو في البيت فإننا نكشف الحجاب عن غير المنظور الأبدى . وبتجاربنا المحرقة يرى الناس لحة عن إيمان وبطولة وقوة المسيحية ، ونشهد لحقيقة الأشياء غير المنظورة ، وذلك بالرؤى العادية ، التي تشددنا لاحتمال الآلام .

صلاة

يا إلهسى ، إليك أهرب لكي تحبثنى من شر وخبث الناس ، الذين يضطهدونى كل يوم وبضايقونى ، « ومحرّفون كلامى » (مز ٥٦ : ٥) . أتوسل إليك أن « تحبثنى في مطلقك » (مز ٢٧ : ٥) ، « من مخاصمة الألسن » (مز ٣١ : ٢٠) .

المستوى الذى نبدأ منه مرة أخرى . إننا نُضطهد من أجل البر ، لكننا نفال للملكوت .

في الآية العاشرة تحدث الرب بصيغة الماضي ، أما في الآية الحادية عشرة فتكلم بصيغة الحاضر . « طوبى لمن طردوا من أجل البر ، لأن لهم ملكوت السموات » . كأنه في تلك اللحظة رأى كل الشهود الروحيين الذين شهدوا لحق الله ، والذين تألموا منذ وقت هابيل ، وقال : « هاأنذا أراهم وقد دخلوا الملكوت ، وجلسوا على العروش » . بعد ذلك التفت إلى تلاميذه وقال : « طوبى لكم عندما يميزكم الناس ، لأن أجركم عظيم في السموات » .

عندما نُضطهد في المستقبل قد نجد معونة كبيرة إن تطلعنا إلى المستقبل - كما فعل الرب يسوع المسيح - وأدركنا عظمة الأجر الذى سوف يُمنح لنا . لأن كل أجر نفال في السماء سوف يحمل معه فرصة أعظم لبركة الأجيال القادمة . وهذا هو السبب الذى لأجله تحدث الرب عن العروش . إن اضطهادات هذا العالم تسعدنا حقاً إن كانت تزيدنا استعداداً للخدمة .

لاحظ كيف وضع الرب يسوع الشهداء في نفس مستوى

يصنعون وصاياهم»، وهذه أقرب إلى المعنى وتمشى مع روح العهد القديم الذى كان يشدد على ضرورة إطاعة وصايا الله . فدخول مدينة الله يتوقف أولاً على الطاعة ، خلافاً لما قيل فى الرسائل عن أننا مدينون لنعمة الله الغنية فى كل شيء . وطبيعى أن مثل هذه الطاعة تُعزى لعمل نعمة الله . وطبيعى أيضاً أن عمل الله فى النفس لا يمكن أن يُشهد له ويتبين إلا بتأثيره فى حياتنا الخارجية . لكن يجب أن نشعر بأنه من الأنسب أن نشدد على الفداء الذى اشتراه لنا المسيح بدم الصليب ، إذ يبدو أنه يجب الإشارة إلى ما عمله المسيح من أجلنا فوق الصليب ، الأمر الذى يختلف عما يُطلب منا عمله من أجله .

(١) تناسق حياة مخلصنا

قال الملا كان اللذان وقفا بجانب حفنة التلاميذ الذين وقفوا على جبل الصعود : « إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه » (أع ١ : ١١) . واضح أن التلاميذ لم تكن لديهم فكرة أن الأجيال الطويلة - طالت أم قصرت - يمكن أن تغير أية ناحية من صفاته ، أو أية ناحية من نواحي

(١٠)

« يدخلون من الأبواب »

« طوبى للذين غسلوا ثيابهم لكي يكون لهم سلطان على شجرة الحياة ويدخلوا من الأبواب إلى المدينة » (رؤ ٢٢ : ١٤)

بحق قيل إن هذه هى آخر تطوية قالها المسيح الذى صعد إلى السماوات . كان ربنا مجيداً لأنه بعد أن بين لنا طريق التطويات من فوق الجبل الذى عليه علم تلاميذه ، أكل الحلقة بهذه التطوية الرائعة - تاج كل التطويات - التى تتضمن آراء لم يمكن محتملاً فهمها قبل حمل الصليب ، وقبل سفك الدم .

غريب أن نلاحظ الفرق بين الترجمتين فى الفقرة الأولى من الآية . فالترجمات الأكثر جعلها هكذا : « طوبى للذين غسلوا ثيابهم » ، لأنه من المستحيل أن يكون لهم سلطان على شجرة الحياة بدون نعمته التى اشتريتها بالدم ، والآن تنتظر لكي تغيثنا بروحه القدوس . لكن الترجمة الأخرى تقول : « طوبى للذين

السماء . قال بطرس الرسول - بعد القيامة ، وبعد الصعود ، وبعد حلول الروح القدس - إن الله « أرسل المسيح يبارككم » (أع ٣ : ٢٦) ، كما كان يبارك لما كان على الأرض ، وكما كانت يده تقطران بركات لما كانتا تلمسان قلوب البشر ، وكما كان يبارك الطعام الذي وُزِعَ على الخمسة آلاف رجل ، ثم على الأربعة آلاف . كان آخر منظر رآه فيه تلاميذه هو عندما « رفع يديه وباركهم » وقت صعوده (لو ٢٤ : ٥٠ و ٥١) .

وتشياً مع ما قاله لنا سوف يرحب بن أطاعوه واقترفوا آثاره ، وبقول لهم في ذلك اليوم : « تعالوا يا مباركي أبي » (مت ٢٥ : ٣٤) .

إذاً يجب أن لا نشك ، بل لنؤمن أن يسوع الآن هو نفس المخلص الذي ، في أيام جسده ، كان يبارك كل آت إليه . هو لا زال ، فأنحأ يديه مليئتين بالبركات التي يريد أن يسكبها على حياتنا ، لكي يجعلنا مباركين إلى الأبد ، « ويملاًنا سروراً مع وجهه » (أع ٢ : ٢٨) .

استعداده لإغاثة بني البشر . ومهما طالت الفترة بين ارتفاعه إلى السماء ومجيئه الثاني ، ومهما كانت الأحداث التي تمت في تلك الفترة جوهرية ، ومهما كانت سامية جداً تلك العظمة التي ارتفع إليها ، فكان يجب أن يبقى هو نفسه يسوع - أمساً ، واليوم ، وإلى الأبد .

منذ بضع سنوات حظيت بصداقة مرسل هندي ذي مركز ممتاز . وبسبب ولائه الشديد للبلاد التي اتخذها له وطناً من أجل سيده المسيح ، لبس الملابس الوطنية ، وكان يأكل الطعام الوطني ، بل كان يجلس حسب عادة أهل ذلك الوطن . وعندما عاد إلى بلاد الإنجليز في عطلة الطويلة استمر محافظاً بعاداته هذه . ولما احتججت عليه قائلاً إن ما يناسب الهند لا يناسب بلاد الإنجليز أجاب : « لو غيرت أسلوب معيشتي لدى عودتي لإنجلترا فقد يظن الهنود أنني إنما تمثلت بهم شكلياً فقط ، مع أنني أريد أن يدركوا بأنني - من أجل محبة المسيح - قد أصبحت كواحد منهم ، وصرت هندياً » .

هذه تبين أن المسيح لا زال أخاً لنا حتى بعد صعوده إلى

(٢) قوة هذا التشبيه

« طوبى للذين غسلوا ثيابهم ». إن سفر الرؤيا مليء بالأسلوب العبراني للتعبير عن الآراء المختلفة . والثياب تشير إلى الصفات ، فالصفات بالنسبة للنفس كالثياب بالنسبة للجسد . الصفات هي الثياب التي يرتديها الإنسان الداخلي . عندما قيل أن يهوشع « كان لابسا ثياباً قذرة وواقفاً قدام الملاك » (زك ٣ : ٣) ، وعندما عاد الابن الضال إلى أبيه في ثياب مهلهلة ، فيمكننا القول إن صفاتهما كانت تشبه هذه الثياب ، وإن كلاهما كان بعيداً عن نقاء القلب الذي بدوره لا يستطيع أحد أن يعاين الله .

إن ثياب نفوسنا قذرة بالطبيعة . قال النبي : « كثوب عذبة كل أعمال برنا (١) (إش ٦٤ : ٦) . وإن كانت أعمال برنا هكذا فكم تكون أعمال شرنا ؟ هذا لا يعني أن الكل قد تآمروا في الخلاعة ، أو صارت ثيابهم سوداء بدرجة واحدة من السواد . لكن ابن الإنسان هو الوحيد الذي كان بلا عيب ولا دنس .

(١) « وبرنا كله كثوب الطامس » حسب ترجمة اليسوعيين ، « كثياب قديمة قذرة » حسب الترجمة الإنجليزية .

وكل من عداه في حاجة لكي يغسلوا ثيابهم من الدنس الذي لحق بهم . فالودعاء لم يكونوا ودعاء كل أيام حياتهم ، ونقى القلب لم يكن ظاهراً دواماً ، والمسكين بالروح لم يكن دواماً متواضعاً . ولو لم « يفتح الينبوع للخطية وللنجاسة » (زك ١٣ : ١) لصارت قداسة بيت الله مستحيلة إلى الأبد .

يخبرنا سفر الرؤيا دواماً أن هنالك إمكانية لنكون أطهاراً . قال الرائي : « هؤلاء غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف » (رؤ ٧ : ١٤) . وإن كان أولئك قد نجحوا في هذا فإننا نستطيع نحن أيضاً أن ننجح طالما كان « دم يسوع المسيح ابن الله يطهر من كل خطية » (١ يو ١ : ٧) .

١ - إرتضوا بأن يكون للروح القدس الساطن الكامل على أعقق ينابيع الفكر والعواطف ، بحيث لا ترتكبون أقل شيء يحزن ذلك الذي اشتراكم بدمه لكي تكونوا ملكاً له إلى الأبد . فكروا كثيراً في مطالبه التي لا يمكن أن توصف ، واحذروا من أن تحسبوا الدم الذي افتدتم به دنساً (عب ١٠ : ٢٩) .

٢ - إقضوا وقتاً طويلاً في التأمل في عملية الفساد السامية

ومن كل أصنامكم أطهركم . وأجعل روجي في داخلكم ،
وأجعلكم تسلكون في فرائضي » (حز ٣٦ : ٢٥ و ٢٧) . ليتنا
نطالب الله بأن يتم فينا ما قصده بهذه الكلمات العظيمة . ليتنا
نحيا تحت ظل الصليب ، تحت ظل الدم المطهر ، في شركة مع « هذا
الذي أتى بدم ودم ، ليس بالماء فقط ، بل بالماء والدم » (١ يوحنا ٥ : ٦) .

« طوبى للذين غسلوا ثيابهم » . لا يكفي أن نكون قد
اغتسلنا مرة واحدة ، بل يجب أن نذهب مراراً وتكراراً إلى
« ينبوع الفتوح للخطية والنجاسة » (زك ١٣ : ١) . كلما
أحسنا بأقل دنس ، وقبل أن يتزايد وينتشر ، وكلما ثار علينا
الضمير ، وكلما فقدنا مركزنا وشعرنا بأننا فقدنا شركتنا مع الله ،
يجب أن نرجع ثانية إلى « المرحضة » الكائنة عند مدخل القدس .

أيها الإخوة الأعزاء ، يا من تدنست حياتكم ، وأصبحت
دنسين أمام عين الله الطاهرة ، ألا تطلبون المغفرة والخلص
النابعين من الصليب ، واللذين نزالهما بالإيمان ، « لكي يكون
لكم أنتم أيضاً سلطان على شجرة الحياة ، وتدخلوا من الأبواب
إلى المدينة » ؟ .

جداً ، التي بمقتضاها مات المسيح في شبه جسد الخطية لكي يموت
إنسانا العتيق ، كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية (روم ٦ : ٦) .
وليضع الصليب حداً نهائياً لخضوعكم لعاداتكم الردية ورغباتكم
الشريرة . « لأن الموت الذي ماتته قدماته للخطية مرة واحدة ...
كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية » (روم ٦ : ١٠ و ١١) .

٣ - تأملوا كثيراً في عطف ذلك الذي مات على الصليب ،
والذي « رقمه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً » (أع ٥ : ٣١) . تأملوا
في بفضته الشديدة للخطية ، وفي الثمن الذي كلفته إياه ، وفي قدرته
على خلاص النفس التي تتسكل عليه من الشرور المرعبة التي
تسائط عليها زمناً طويلاً . وهكذا تصبح بفضتكم الشديدة للخطية
طبيعة ثانية لكم ، فكتفقدون وتمزنون حزناً شديداً وتقويون .

٤ - أطلبوا أيضاً أن تخلصكم محبة المسيح التي تجلت في صليبه
كي تعيشوا فيما بعد لأنفسكم ، بل للذي مات لأجلكم وقام
(٢ كو ٥ : ١٤ و ١٥) .

٥ - وفوق الكل طالبوا بوعده المبارك الذي يحقق أعمق
رغباتنا . « وأرسل عليكم ماءً طاهراً فقطهرون من كل نجاساتكم ،

(٣) للتأج المباركة

١ - السلطان على شجرة الحياة . في آخر صفحة من الكتاب المقدس نلتقى بشجرة الحياة ، التي يخبئنا الكتاب عنها في الصفحة الأولى أن الإنسان أبعد عنها . لكننا هنا نرى أن الحواجز قد أزيلت ، وأن الكروبيم ذوو السيف المتقلب قد انسحبوا (تك ٣ : ٢٤) . والله نفسه يعطينا الحق للمجيء ، ويدعونا للاكل بكثرة من ثمارها النفيسة .

ولماذا هذا ؟ لماذا نأخذ مما حُرِّم على أبويننا الأولين ؟ ليست الإجابة بعيدة الغال . لقد افتقدنا بالدم الكريم من نتائج تعديتنا . وروح الكبرياء ، والاستقلال عن الله ، والاعتزال عنه ، حل محله الروح الجديد الوديع الهادي للتواضع . والحياة سوف لا تنفق الآن في محبة الذات ، بل في الاعتماد الكلي على الكرم الحقيقية . ولذلك فالحياة الحقيقية تنحصر في الحصول على النفس المطهرة . لقد صارت إحدى الخراف التي تسمع صوت الراعي ، والتي قال عنها : « وأنا أعطيها حياة أبدية » (يو ١٠ : ٢٨) ، وقال أيضاً : « وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل » (يو ١٠ : ١٠) .

٢ - الحق في الدخول من الأبواب إلى المدينة . بعد أن أبعد

الإنسان من الجنة في البداية صار الترحيب به إلى المدينة التي لها الأساسات عندما تم سر الفداء من الخطية والحزن . ترمز الجنة إلى العزلة والكسل والبلادة والزوال ، وترمز المدينة إلى المجتمع والنشاط والدوام . ومن ذا الذي لا يقمى الوصول إلى تلك المدينة والدخول من أبوابها ؟ إن أبوابها تنفتح لنا من ذاتها كما انفتحت أبواب السجن أمام بطرس من ذاتها (أع ١٢ : ١٠) . وأفضل الكل سوف لا يكون لنا انزعاج أو اضطراب أو خوف من الاعتراض على وجودنا هناك . وإذ نشير إلى الدم الذي طهرنا فإننا نصر على أن لنا الحق في بقائنا هناك باستحقاق دم الصليب الذي « مح الصك الذي علينا » (كو ٢ : ١٤) ، وفتح لنا شركة مع القديسين لا يقوى عليها الموت .

صلاة

بكل اتضاع أتوسل إليك يا آلهي ، عندما تدعوني للخروج من هذا العالم ، عالم الخطية والأحزان ، أن تمنحني دخولاً سهلاً للمسكوتك ومجدك بدم يسوع المسيح ابنك . آمين ؟

محتويات الكتاب

صفحة	
٣	مقدمة
٤	(١) الأبواب الثمانية إلى مدينة السعادة
١٦	(٢) مفقاح الملكوت
٢٨	(٣) سر العزاء
٤٢	(٤) ميراث الأرض
٥٣	(٥) الجياع والعطاش يشبعون
٦٦	(٦) تخرج وتمود
٧٨	(٧) الرؤيا المطوَّبة
٨٩	(٨) السكين المنقية
١٠٤	(٩) شهداء وأنبياء
١١٦	(١٠) « يدخلون من الأبواب »

بیتنا ترنوم

١٠٠٠
 ١٠٠١
 ١٠٠٢
 ١٠٠٣
 ١٠٠٤
 ١٠٠٥
 ١٠٠٦
 ١٠٠٧
 ١٠٠٨
 ١٠٠٩
 ١٠١٠

رقم الإبداع ٥٥٠٧ / ١٩٧٦

الترقيم الدولي ١٨ - ٢ - ٧٠٥١ - ٩٧٧

١٠١١
 ١٠١٢
 ١٠١٣
 ١٠١٤
 ١٠١٥
 ١٠١٦
 ١٠١٧
 ١٠١٨
 ١٠١٩
 ١٠٢٠



التطويبات

تأليف

ف. ب. مایر

تعريب

القمص مرس دأورد

يناير ١٩٧٧

لجنة خلاص النفوس للنشر

